كوثر
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث

sila
صلة

الفتيات المراهقات والعنف الرقمي، بين التجربة والتمثّل:

دراسة ميدانيّة في حي شعبي بتونس العاصمة

Cofinancé par l'Union européenne

Enabel

aecid

الفتيات المراهقات والعنف الرقمي، بين التجربة والتمثّل:
دراسة ميدانيّة في حي شعبي بتونس العاصمة

مركز المرأة العربية
للتدريب والبحوث

، ص.ب. 105، 1003 حي الخضراء
تونس-الجمهورية التونسية
الهاتف : 511 790 71 216+ الفاكس : 611 773 71 216+
www.cawtar.org

cawtar@cawtar.org - info@cawtar.org
www.facebook.com/CenterofArabWomenforTrainingandResearch
www.youtube.com/@cawtarvid2796
x.com/cawtar_ong

تم إنجاز هذا البحث بدعم من مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوثر) وذلك في إطار مشروع صلة (Silaة).

فريق العمل

إعداد الطالبة : راضية السعيدي

الأستاذة المرافقة : أ.د. سهام نجار



جدول المحتويات

الملخّص 6

الكلمات المفتاحية 6

المقدمة والخلفية 8

جدل مفاهيمي وتفاوت بحثي في تقدير تمثّلات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي 9

منهج تفهّمي يتماشى وخصوصيّات العيّنة 11

المحاور التحليلية.

1. التنشئة الاجتماعية وأنماط استخدام المراهقات والمراهقين للميديا الاجتماعيّة 13

1-1 التنشئة الرقمية وخصوصية البيئة الاجتماعية 13

2-1 تقلّص دور الأسرة وصعود أشخاص مرجعيين جددا في حياة المراهقات والمراهقين 14

2. تمثّلات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي 16

1-2 إعادة تعريف العنف الرقمي من خلال تأويلات المراهقات والمراهقين وتقييمهم له 16

2-2 الفايسبوك موقع غير آمن للمراهقات والمراهقين 18

3. عندما تتحول التجربة الى مسار حياتي يعيد تشكيل الذات (بورتريه سوسيولوجي لمراهقة) 20

الخاتمة 24

المراجع 25

التلخيص بالعربية :

أفرزت التحوّلات الرقميّة المتسارعة عددا من الظواهر من بينها «العنف الرقمي» الذي ما فتئ انتشاره يتوسّع وأشكاله تختلف، وتتعدّد التسميات والتعريفات بخصوصه فهو «عنف الكتروني» و«عنف سيبرني» و«عنف على الخط» و«عنف في الفضاء الالكتروني». وهو كذلك» العنف الذي تسهّله التكنولوجيا ضدّ المرأة» كما حدّدته هيئة الأمم المتحدة للمرأة سنة 2022، والذي يُستخدم لوصف الأفعال التي توظّف التكنولوجيا لإلحاق الأذى بالنساء والفتيات بالخصوص، ومع تزايد استخدام الفتيات والمراهقات للمنصّات الرقميّة سيما الميديا الاجتماعيّة أصبحن معرّضات للأذى ولمختلف أشكال العنف الرقمي ابتداء من الإساءة القائمة على الصور وصولا الى التنمّر والتشهير والابتزاز الجنسي والتحرّش الجنسي في الفضاء الرقمي. وتواجه الفتيات المراهقات هذا السلوك العدائي والمهين فيُعبّرن عنه من خلال أقوالهنّ ومواقفهنّ بما يحملنه من تمثّلات وتجارب يكشف عنها هذا المقال الذي يستند الى بحث نوعي يقوم على مقابلات نصف موجّهة ومجموعة بؤريّة مع فتيات مراهقات الى جانب مجموعة من الفتيان المراهقين كمجموعة شاهدة لفهم الأبعاد الجندريّة لهذه التمثّلات، فضلا عما يقدّمونه من تعريف لهذا النوع من العنف من خلال تجاربهم وتفاعلاتهم اليوميّة، كما رسمنا «بورتريه سوسيولوجي» لإحدى المراهقات لفهم سيرورة التعرّض للعنف الرقمي.

الكلمات المفتاحيّة: المراهقات، العنف الرقمي، التمثّلات، الميديا الاجتماعية، الوسيط الرقمي، التنشئة الرقميّة.

Abstract:

Digital transformations are moving at breakneck speed, and with that comes a wave of new issues digital violence being one of the most relentless and diverse. People toss around terms like electronic violence, cyber violence, online violence, or just violence in digital spaces; they all point to the same thing. In 2022, UN Women called it "Technology-facilitated gender-based violence" using technology to target and harm women and girls. As more girls and teens spend time on digital platforms especially social media they're facing more risks. They're exposed to image based abuse, bullying, defamation, sexual extortion, and sexual harassment online. These are not just abstract threats. Adolescent girls come face-to-face with these aggressive behaviors, and the way they talk about them or react reflects their own experiences and the digital world around them.

This article dives into those experiences. It draws on a qualitative study that includes semi-structured interviews and a focus group with adolescent girls. A group of boys was also included as a comparison, to explore the gendered aspects of these issues. The study captures how young people define digital violence in their everyday lives—through their words, actions, and encounters. Finally, it paints a "sociological portrait" of one adolescent girl, offering a closer look at how exposure to digital violence takes shape over time.

Keywords: Adolescent girls, cyber violence, Social media, representations, digital mediation, digital socialization.

المقدمة

نتجت عن التحوّلات التكنولوجيّة المتسارعة ظواهر جديدة مثل انتشار العنف الرقمي القائم على النوع الاجتماعي الذي يستهدف النساء والفتيات على حدّ السواء، ومن مظاهره التنمّر والابتزاز والتحرّش الجنسي.

فالنساء عموما والفتيات بالخصوص مواكبات للتطوّرات التكنولوجيّة. وتؤكّد الاحصائيات[1] في تونس انخراطهنّ في مختلف المنصّات سواء كمتصفّحات أو كمدوّنات. ففي سنة 2024 تمثّل هذه الفئة 45.5 بالمائة من مستخدمي فايسبوك و52.4 بالمائة من مستخدمي انستغرام و55 بالمائة من مستخدمي تيك توك وهي احصائيات تشمل الإناث انطلاقا من سن 13 سنة أي انطلاقا من سن الطفولة والمراهقة الأولى.

وتُبرز الاحصائيات والدراسات في تونس وفي عدد كبير من العالم انخراط الفئة العمرية من 13 الى 18سنة، بشكل كبير في العالم الرقمي، ونشرت الأمم المتحدة[2] ما يفيد أنّ حوالي 77بالمائة من الأشخاص في الفئة العمرية من 15 إلى 24 عامًا استخدموا الإنترنت في عام 2023. لكن هذا الانخراط في العالم الرّقمي له سلبيّات، فحسب هيئة الأمم المتّحدة للمرأة لا يعتبر الفضاء الرّقمي آمنا بالنسبة إلى النساء والفتيات في العالم العربي[3]، وأعلن الاتحاد الأوروبي أنّ واحدة من كل عشر نساء قد تعرّضت لشكل من أشكال العنف الإلكتروني منذ سن الخامسة عشرة فما فوق[4]. و «قد يتعرّض الأطفال والشباب لخطاب الكراهية والمحتوى العنيف، بما في ذلك الرسائل التي تحرّض على إيذاء النفس وحتى الانتحار»[5]. وقد بيّن تقرير للأمم المتحدة سنة 2023 أنّ حوالي 80% من الأطفال في 25 دولة قالوا إنّهم يشعرون بخطر التعرض للاعتداء الجنسي أو الاستغلال عبر الإنترنت[6]. وتزداد الخطورة بالخصوص في حال عدم حماية الخصوصيّة على الانترنت، خاصّة مع قبول دعوات صداقة لأشخاص مجهولين. وتختلف ردود فعل المراهقات والمراهقين تجاه التهديدات والعنف الذي يواجهونه، وغالبا ما تختار المراهقات والمراهقون عدم التحدّث عن تجاربهنّ/هم حتى لذويهنّ/هم. فمثلا في حالات التنمّر الالكتروني قد تنطلق المسألة وكأنها مجرّد مزحة لتتطوّر الى مسائل خطيرة. «مما قد يشجّع المتنمّر الإلكتروني على التمادي»[7].

وتؤكّد التقارير الأمميّة[8] أن النساء والفتيات في المطلق لا يتابعن المعتدين، اذ غالبا ما يلتزمن الصمت تجاه ما يتعرّضن له من أشكال مختلفة من العنف على الأنترنت مثل التنمّر الرقمي والتحرّش الجنسي الرّقمي والابتزاز الرّقمي خوفا من أن يعرف الأهل الأمر، فتكون عرضة للوصم الاجتماعي. وهذا الصمت قد ينتج كذلك عن الخوف والضغوط النفسيّة وهو ما يؤدي الى نتائج وخيمة مثل الاقدام على الانتحار خاصة في هذه الفترة الحسّاسة من العمر، فمثلا الفتيات في الفئة العمريّة ما بين سن 10 و14 سنة في بريطانيا هنّ الأكثر عرضة للانتحار[9]. وفي تونس شهد شهر فيفري من سنة 2026 اقدام فتاة ذات 15 سنة على الانتحار بجهة سوسة جرّاء التحرّش والتهديد الرقمي، بل أنّ وزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكبار السن بيّنت في دراسة أنجزتها مع مكتب اليونيسف بتونس سنة 2023 أنّ الفتيات هنّ الأكثر تعرّضا للتحرّش والابتزاز عبر الانترنت[10].

وأمام هذه المعطيات التي تُدمج، أغلبها، الفتيات المراهقات إمّا في فئة «النساء والفتيات» أو «المراهقين» وأحيانا «المراهقين والمراهقات» أو «الفتيات» في المطلق، وأمام الاستخدام المتنامي وغير الآمن للمنصّات وخاصة الميديا

(1) Twaibia, I. (2024, 18 décembre). Les chiffres clés des réseaux sociaux en Tunisie en 2024 pour Facebook, Instagram, LinkedIn et TikTok. E-Brand Digital. https://www.ebrandigital.com/les-chiffres-cles-des-reseaux-sociaux-en-tunisie-en-2024-pour-facebook-instagram-linkedin-et-tiktok. consulté 20 aout 2025

(2) الأمم المتحدة. (2023). سلامة الأطفال والشباب على الإنترنت. consulté aout 2025 https://www.un.org/ar/global-issues/child-and-youth-safety-online. un.org

(3) هيئة الأمم المتحدة للمرأة. (2021). العنف ضد المرأة في الفضاء الرقمي: رؤى من دراسة متعددة الأقطار في الدول العربية. هيئة الأمم المتحدة للمرأة؛ مبادرة البحوث الخاصة بالعنف الجنسي. unwomen.org

(4) UNRIC. (2024). Cyberviolence against women and girls: The growing threat of the digital age. United Nations Western Europe. https://unric.org/en/cybervio-lence-against -women-and-girls-the-growing-threat-of-the digital-age.consulté aout 2025

(5) الأمم المتحدة، مرجع سابق.

(6) الأمم المتحدة، مرجع سابق.

(7) Even C., (2018). Cyber harcèlement chez les adolescents : impacts psychopathologiques, émotionnels et cognitifs : revue de littérature (Thèse d'exercice en mé-decine, Université Grenoble Alpes). DUMAS. Dumas.ccsd.cnrs.fr

(8) هيئة الأمم المتحدة للمرأة، مرجع سابق.

(9) كريم آيات، ف. ز.، وباهة، ف. (2024). جريمة التنمّر السيبراني ضد الأطفال: مواجهة التحديات وتعزيز الأمان الرقمي. مجلة الدراسات الحقوقية، 11(2)، 56-24. https://asjp.cerist.dz/en/ar-ticle/255413، تم الاطلاع عليها في 16 أوت 2025.

(10) وزارة الأسرة والمرأة والطّفولة وكبار السّن ومكتب اليونيسيف بتونس. (2023). التقييم المؤسساتي لوقاية الأطفال وحمايتهم من العنف الرقمي، دراسة تقييمية لقدرات مختلف المؤسسات والقطاعات بشأن وقاية الأطفال وحمايتهم من العنف في الفضاء الرقمي، صفحة 16.

الاجتماعيّة[11] ، وأمام قلّة الدراسات التي تتناول الموضوع من منظور علوم الاعلام والاتصال وندرة الدراسات العربيّة التي تتناول الموضوع من زاوية المراهقات فقط، تتنزّل أهميّة هذه الدراسة النوعيّة حول المراهقات والمراهقين التونسيّين المتمدرسين بتونس العاصمة. وذلك للتعرّف على مدى إدراك هؤلاء للعنف الرقمي وكيفيّة التعامل معه، وفي إدراج الفتيان كمجموعة شاهدة (Groupe témoin) نحاول إبراز مدى تماثُل تمثّلات الجنسين للعنف الرقمي أو اختلافها ومدى ارتباط هذا النوع من العنف بالنوع الاجتماعي.

وقد حافظنا في بحثنا على مصطلح «المراهقين/ات» عوضا عن «اليافعين/ات» الذي تستخدمه بعض المنظّمات والمؤسّسات العربيّة لاقتناعنا أنّ هذا المفهوم جدليّ، خاصّة أن القواميس العربيّة[12] تعرّف «اليافع» بأنّه مَن اقترب من البلوغ، وهو دون المراهقة. وسيهتم بحثنا أساسا بالفتيات المراهقات اللواتي تتراوح أعمارهن بين 13 و18 سنة باعتبارهن المعنيّات باستخدام الميديا الاجتماعية ومختلف المنصّات الرقميّة الى جانب فتيان من الفئة العمريّة نفسها، قصد فهم كيفيّة ادراكهن/هم للعنف الرقمي بوصفه تجربة اجتماعية وكيفيّة تعريفه من خلال التفاعل والاستخدام اليومي للفضاء الرقمي والتلقي النشط لمختلف المضامين.

وتسعى الدراسة الى الإجابة عن السؤال التالي: كيف تُسهم تجربة العنف الرقمي لدى المراهقات والمراهقين في انتاج تمثّلاتهن/هم الاجتماعيّة حوله وتعريفهنّ/هم إيّاه؟

وهي تنطلق من فرضيّة رئيسيّة مفادها أنّ تمثّلات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي تتشكّل تدريجيّا من خلال التجربة، اذ يُعيد هؤلاء بناء فهمهم لهذا النوع من العنف وبالتالي يُعيدون رسم حدوده ودلالاته من خلال ما يعيشونه ويتفاعلون معه داخل الفضاء الرقمي.

وسيرتكز هذا المقال العلمي على ثلاثة محاور تحليلية، يتعلّق الأوّل بالتنشئة الاجتماعيّة في علاقة بالعالم الرقمي، ويهتم الثاني بتمثّلات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي من خلال تعريفه انطلاقا من تفاعلاتهنّ/هم او تقييمه عبر مواقفهنّ/هم ووجهات نظرهنّ/هم، اما المحور الأخير فيتناول بالدرس التجارب الشخصيّة الخاصّة بالتعرّض للعنف الرقمي من خلال تقديم بورتريه لفتاة ضحيّة لهذا النوع من العنف. وستُمكننا هذه التقنية من إعادة بناء التجربة المركّبة فمن خلال قصّة المراهقة سمر[13] نتبيّن كيف أنّ العنف الرقمي لا يقع فهمه كمعنى ثابت بل كمعنى يُعاد بناؤه داخل تجربة الفاعل الاجتماعي. فهذا الفاعل كما بيّنته مرجعيّات علوم الاعلام والاتصال ليس متلقيّا سلبيّا للمضامين الاعلاميّة والمعلوماتيّة بل هو متلقٍ نشط له دور في الانتقاء والتأويل والتفاعل. وهو ما لم تُركّز عليه الدراسات التي تناولت الموضوع بالدرس وتمكنّا من الاطلاع عليها.

فماهي أبرز النتائج التي خلُصت اليها الدراسات الميدانيّة السابقة في علاقة بموضوع بحثنا؟

جدل مفاهيمي وتباين بحثي حول تمثّلات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي

تتمحور أبرز الدراسات والأدبيّات التي تناولت العنف الرقمي ضد النساء والمراهقات حول ثلاثة محاور أساسيّة: محور مفاهيمي يسعى الى تعريف العنف الرقمي والمفاهيم المرتبطة به، ومحور يركّز على الشبكات الاجتماعية الرقميّة بوصفها فضاءات للوساطة، ومحور ثالث يهتمّ بالتمثّلات الاجتماعيّة والثقافيّة للعنف الرقمي لدى المراهقات.

لقد لاحظنا من خلال المدوّنات الأمميّة من تقارير ودراسات اختلافا في تسمية هذا النوع من العنف يصل الى الجدل، فلئن أكّدت كلّ المنظّمات الأمميّة ظهور أشكال من العنف القائم على النوع الاجتماعي والمرتبطة بالفضاء الرقمي، إلّا انّها لم تتّفق حول هذا الاستخدام العنيف الذي يستهدف بالخصوص النّساء والفتيات، وقد وضعت هيئة الأمم المتّحدة للمرأة سنة 2022[14] عبارة «العنف الذي تسهّله التكنولوجيا ضد المرأة» كمفهوم لوصف أي فعل يُرتكب أو يتفاقم باستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات أو غيرها من الوسائل الرقميّة. وقد تبنّت المنظّمات الأمميّة

(11) أمام تعدد التسميات: مواقع التواصل الاجتماعي او مواقع الشبكات الاجتماعية اخترنا مصطلح الميديا الاجتماعية فهو حسب الباحث الصادق الحمامي «مصطلح يؤكد فكرة تداخل البعد التكنولوجي والمؤسسي بالبعد الاجتماعي والعلائقي والشبكي» (الكريديف، 2020)

(12) قاموس المعاني. (د.ت.). يافع. في المعجم الوسيط. almaany.com

(13) اعتمدنا في هذه الدراسة على أسماء مستعارة حماية للمعطيات الشخصيّة الخاصّة بالمستجوبات والمستجوبين.

(14) هيئة الأمم المتحدة للمرأة. (2023). تقرير الاجتماع التأسيسي لفريق الخبراء عن العنف الذي تسهّله التكنولوجيا ضد المرأة. https://www.unwomen.org. تم الاطلاع عليه في أوت 2025.

مثل منظّمة العفو الدوليّة وصندوق الأمم المتّحدة للسكّان هذه العبارة التي أصبحت مفهوما رسميا تضمّنته مختلف التقارير الأممية الصادرة بعد سنة 2022، وتم تفسيره باعتباره «يُستخدم لوصف الأفعال التي تعتمد على التكنولوجيا لإلحاق الأذى بالنساء والفتيات» كما بيّنت منظمة العفو الدولية[15] ذلك، أو بإبراز أشكاله ، كما فصّلها صندوق الأمم المتحدة للسكّان[16]والمتمثّلة في «الابتزاز الجنسي(..) والإساءة القائمة على الصور(..) والتشهير(..) ، والتنمّر الإلكتروني، والتحرّش الجنسي عبر الإنترنت، والملاحقة الإلكترونيّة، والإعداد عبر الإنترنت للاعتداء الجنسي، والقرصنة، وخطاب الكراهية، وانتحال الشخصية عبر الإنترنت، واستخدام التكنولوجيا لتحديد مكان الناجيات من الإساءة من أجل إلحاق المزيد من العنف». وان جاء هذا المفهوم لتفادي تشتّت المفاهيم التي تحيل على العنف الرقمي الاّ أن اختلاف الترجمة في المدوّنات الأمميّة[17] الصادرة باللغة العربيّة (مثلا استعمال «الذي تيسّره» في تقارير و»الذي تسهّله» في تقارير أخرى) جعلنا نخيّر استعمال مفهوم «العنف الرقمي» للإشارة الى كل سلوك عدائي و مهين تتعرض له الفتيات المراهقات عبر الوسائط الرقميّة والذي تتنوّع أشكاله بين التهديد والتنمّر والابتزاز والتشهير والاهانة. ونجد أنّ بعض المنظّمات تعتمد كلمة الالكتروني كنعت من ذلك مثلا عبارة التنمّر الالكتروني الذي تعرّفه منظمة اليونيسيف[18] بكونه «سلوك متكرّر يهدف الى إخافة أو استفزاز أو تشويه سمعة المستهدفين»، ويشمل نشر أكاذيب أو نشر صور محرجة لشخص ما على مواقع الشبكات الرقميّة أو ارسال رسائل أو تهديدات مؤذية الى جانب انتحال شخصيّة أحدهم وارسال رسائل او محتوى نيابة عنه، وهو تعريف واسع يشمل أشكالا أخرى من العنف الرقمي مثل الإساءة القائمة على الصور.

ويُعد التنمّر الالكتروني من أكثر أنواع العنف الرقمي خطورة والتي قد تؤدّي بالضحيّة الى الانتحار وقد تناولته عدّة دراسات فمثلا بيّنت دراسة ايطاليّة لمجموعة من الباحثين[19] أنّ «التحرّش الجنسي الالكتروني وخاصّة التنمّر الالكتروني ومشاركة الصور الحميميّة تُعدّ ظاهرة واسعة الانتشار بين المراهقين والشباب»، وهو ما أكّدته دراسة مصريّة[20] مبيّنة أنّ أعلى معدّل لانتشار هذا النوع من التنمّر لوحظ بين المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و19 سنة دون ملاحظة فروق ذات دلالة احصائيّة بين الجنسين.

غير أنّ الاحصائيات تبيّن ارتفاع استخدام المراهقين والشباب لمنصّات الميديا الاجتماعيّة كفضاءات للوساطة، فقد بيّنت منظّمة الأمم المتّحدة[21] أنّ حوالي 53 بالمائة من الأشخاص في الفئة العمريّة من 15 الى 24 عاما استخدموا الانترنت في عام 2023 بأغراض مختلفة من ترفيه وتعليم و تعبير عن الآراء والمواقف، اذ مكّن الوسيط الرقمي المنتمين الى هذه الفئة العمريّة وخاصة المراهقات والمراهقين من أدوات للتعبير والتفاعل ما يجعلهم مستخدمين نشطين، فهذه المرحلة العمريّة تُعدّ هامّة في بناء الذات واثبات الشخصيّة وترى درّة محفوظ أنّ الشباب بالخصوص يجدون في تكنولوجيا المعلومات والاتصال موارد متنوّعة لتدريب النفس وتجهيزها من أجل تلبية احتياجاتهم الى التقدير الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي الأوسع وبناء صورة ذاتيّة ايجابيّة[22].

وتتنوّع استخدامات المراهقين والمراهقات للمنصّات الرقميّة، وهو استخدام يكون غالبا واعيا، فقد بيّنت ناديا غوديشو[23]، أن شبابا فرنسيين من الجنسين يستخدمون المنتديات ليس فقط للحصول على المعلومات بل أيضا للتفاعل الاجتماعي مما يجعلها بيئة خصبة لفهم تصوّراتهم للعنف اللفظي، كما أبرزت كيف يميّز الشباب المراهق بين المزاح والعنف اللفظي الحقيقي وكيف تؤثّر السياقات المختلفة على تفسيرهم للتعليقات العدوانيّة أو الساخرة. وتُبرز غوديشو أنّ الثقافة الرقميّة، خاصّة استخدام السخرية والمزاح تؤثّر على كيفيّة إدراك الشباب للعنف اللفظي

(15) منظمة العفو الدولية. (د.ت). العنف عبر الإنترنت.https://www.amnesty.org/ar/what-we-do/technology/online-violence. تم الاطلاع عليه في أوت 2025

(16) صندوق الأمم المتحدة للسكان. (د.ت). العنف القائم على النوع الاجتماعي الذي تسهله التكنولوجيا: تهديد متزايد https://www.unfpa.org/ar/TFGBV . تم الاطلاع عليه في أوت 2025

(17) تقارير منظمة الأمم المتحدة للمرأة تستعمل «الذي تسهّله» وتقارير صندوق الأمم المتحدة للسكان تستعمل مصطلح «الذي تيسّره

(18) اليونيسف مصر. (د.ت.). حماية الأطفال من التنمر عبر الإنترنت. unicef.org

(19) Cricenti, C.; Pizzo, A.; Quaglieri, A.; Mari, E.; Cordellieri, P.; Bonucchi, C.; Torretta, P. ; Giannini, A. M.; & Lausi, G. (2022). Did they deserve it? Adolescents' perception of online harassment in a real-case scenario. International Journal of Environmental Research and Public Health, 19(24), Article 17040. doi.or

(20) Muhammed, N. Y.; & Samak, Y. A. A. (2025). The impact of cyberbullying on adolescents: Social and psychological consequences from a population demography perspective in Assiut Governorate, Egypt. Frontiers in Human Dynamics, 7, Article 1519442. doi.org.

(21) الأمم المتحدة، مرجع سابق

(22) Mahfoudh-Draoui, D., (2020). Le cyber harcèlement sexuel: une nouvelle forme de violence basée sur le genre. Académie Génération A'venir.p10.

(23) Gauducheau, N. (2019). Pratique d'Internet chez les jeunes et perception de la violence verbale. Dans N. Boubée, C. Safont-Mottay & F. Martin (dir.), La numérisa- tion de la vie des jeunes : Regards pluridisciplinaires sur les usages juvéniles des médias sociaux (p. 191-204). L'Harmattan.

(Gauducheau, 2019). وهذا الادراك يتوسّطه جهاز من التمثّلات الاجتماعيّة التي تمكّن الفتيات والفتيان من تأويل الفعل العنيف، وقد أبرزت نتائج دراسة لمركز البحوث والدراسات والتوثيق والاعلام حول المرأة «الكريديف»[24] مدى مساهمة المعتقدات والسلوكيّات المجتمعيّة في انتاج العنف وتبريره ضد المراهقات وتكريس الصور النمطيّة، من ذلك تبرير العنف بسبب مظهر المراهقات وسلوكهنّ وهي تمثّلات اجتماعية قد تستبطنها الفتيات أنفسهنّ فيعتبرن أنّ العنف هو فقط ما كان ماديّا وجنسيّا، ومنهنّ من يُعدن انتاج فكرة تفوّق الرجال على النّساء لتبريره. في حين أنّ هذا العنف يُؤثّر سلبا على الصحّة النفسيّة للمراهقات ويُولّد لديهنّ الشعور بالخوف والذنب والعزلة، وقد يحدّ من حريّتهنّ بما في ذلك استخدامهنّ للفضاء الرقمي.

فقد تستبطن المراهقات أنفسهنّ تمثّلاتٍ معيّنة تجعلهن يخيّرن الصمت أو أنّهن يعتبرن مثل المراهقين بعض السلوكيّات العدوانيّة «طبيعيّة» أو «مقبولة» في سياقات معيّنة[25]، بل أنّ دراسة نشرها موقع هارم[26] بيّنت أنّ نسبة كبيرة من الفتيات تلقين رسائل غير لائقة او صورا من غرباء عبر الانترنت لكن العديد منهن أشرن الى أنهنّ يشعرن بأنّ مثل هذه التجارب أصبحت «طبيعية او جزءا من الحياة اليوميّة على الانترنت» بل ان بعض أولياء الأمور، حسب الدراسة، يقلّلون من شأن هذه التجارب ممّا يؤدي الى تقليل الفتيات من أهمية الإبلاغ عنها.

كما أنّ المراهقات والمراهقين حسب «كريسنتي وآخرون»[27] يميلون إلى استخدام التبرير الأخلاقي كوسيلة للتعاطف مع المعتدين عليهم لحماية ثقتهم بأنفسهم، وهو ما قد يحدث لدى ضحايا مشاركة الصور الحميمة دون موافقة (Cricenti et al., 2022).

وتجدر الإشارة الى ان مختلف الدراسات التي اطلعنا عليها لم تتناول موضوع تمثّلات العنف الرقمي لدى المراهقات والمراهقين من منظور علوم الاعلام والاتصال بل قاربت جلّها العنف الرقمي من منظور علم الاجتماع او علم النفس او علوم التربية، كما أن عددا منها اعتمد بالخصوص على المنهج الكمي القائم على الاستبيان في حين أننا سنتّبع المنهج النوعي القائم على المقابلات المعمّقة الهادفة الى فهم الظاهرة من الفاعل الاجتماعي نفسه من خلال تفاعله الرقمي اليومي. فكيف يمكن دراسة العنف الرقمي كتجربة اجتماعيّة مؤوّلة؟

منهج تفهمي يراعي خصوصيات العيّنة

نعتمد في دراستنا المنهج النوعي القائم على المقابلات المعمّقة باعتباره يُتيح لنا النفاذ الى الأبعاد العميقة للتجربة الإنسانية وفهم المعاني التي تحملها المراهقات والمراهقون عن العنف الرقمي من خلال تجاربهن/هم اليوميّة وتفاعلاتهن/هم في سياق استخداماتهنّ/هم للميديا الاجتماعيّة.

وتقوم مقاربتنا المنهجيّة على مرحلتين متكاملتين: مرحلة أولى استكشافيّة تساعد على توجيه مسار البحث ومرحلة ثانية لتعميق التحليل وتأطير النتائج. ففي المرحلة الاولى سعينا الى بناء فهم أوّلي لظاهرة العنف الرقمي في أوساط المراهقات والمراهقين، واعتمدنا على تقنيات مختلفة تتمثل في مجموعة بؤريّة مع مراهقات ومراهقين ومقابلتين نصف موجهّتين مع استاذين جامعيين[28] مختصّين في علم الاجتماع وعلم النفس فضلا عن مقابلات عفويّة[29] مع أربعة مراهقين (ثلاث فتيات وفتى) لهم خصائص عيّنة بحثنا العمريّة والدراسيّة وهذه المقابلات الستّة استُخدمت فقط لضبط أدوات البحث دون ادماجها في مدوّنة التحليل. في حين وظّفنا نتائج مناقشات المجموعة البؤريّة في تحليل نتائج دراستنا باعتبار أنها تمحورت حول مختلف التعريفات التي يقدّمها المراهقات والمراهقون للعنف الرقمي ومواقفهم منه دون الغوص في تجاربهنّ/هم الذاتية، وقد شملت ستة مراهقات ومراهقين (2) تتراوح أعمارهم بين 13 و18 سنة وثمانيتهم من المتمدرسين بالمؤسّسات التعليميّة العموميّة.

(24) Ayed, S.; Garbouj, S.; & Zouaoui, I. (2020). Les violences fondées sur le genre faites aux adolescentes et la réponse à leurs besoins en termes de services. Credif ; UNFPA.pages31-59-61-75-77-80-81. credif.org.tn.p

(25) غوديشو، مرجع سابق ص7

(26) Internet Matters. (2024, janvier). Teen girls' experiences of harm online: Qualitative research from our Digital Wellbeing Index. internetmatters.org, consulté aout 2025

(27) كريسنتي وآخرون، مرجع تم ذكره سابقا.

(28) هما د.الحفصي بالضيوفي أستاذ التعليم العالي مختص في علم الاجتماع ود. ليليا عثمان شلوقي أستاذة التعليم العالي مختصّة في علم النفس، وكليهما اشتغلا على الشباب والمراهقين، ومكنت المقابلتان الاستكشافيتان معهما من جمع مؤشرات أوليّة تساعد في انتقاء أدوات البحث النوعي المناسبة لإنجاز دراستنا فضلا على التعرّف على خصوصيّة عيّنة بحثنا وكيفيّة التعامل معها بحثيّا.

(29) اعتمدنا المقابلات العفويّة كتقنية مرنة مع ثلاث مراهقات ومراهق لهم خصائص عيّنة بحثنا العمريّة والدراسيّة، بغاية فهم اللغة والأفكار المتداولة حول الموضوع وهي مقابلات قصيرة

وتمّ في المرحلة الثانية الاعتماد بالأساس على بورتريه سوسيولوجي مع فتاة مراهقة تعرّضت للعنف الرّقمي بغاية فهم تجربتها، اذ يمكن للحالات الفرديّة أن تمكنّنا من فهم الأليات الاجتماعية ما يسمح بإبراز المعنى من خلال التجربة. كما أجرينا مقابلتين نصف موجّهتين تكميليتين مع مراهقة وممثّلة جمعيّة.

وتمثّلت العيّنة التي اخترناها لدراستنا في مراهقات ومراهقين من أحد الأحياء الشعبية بتونس العاصمة، تتراوح أعمارهم بين 13 و18 سنة، وقد اخترنا هذه المرحلة العمريّة باعتبارها المعنيّة باستخدام المنصّات الرقميّة سيما وأنّ مواقع الشبكات الاجتماعية تضع موانع للاستخدام لمن سنّهم دون 13 سنة.

وفي انجاز بحثنا الميداني اعترضتنا صعوبات تمثّلت في مماطلة أولياء الأمور وصعوبة الحصول على الموافقات المستنيرة ما دفعنا الى تعديل المقاربة المنهجيّة. وقد تمكنّا من إتمام بحثنا بمساعدة احدى الجمعيات المتمركزة بأحد الأحياء الشعبية التي يسّرت لنا الحصول على الموافقات المستنيرة وكذلك تخصيص أماكن في فضائها لمقابلة المراهقات والمراهقين.

وقد سعينا الى احترام كل المعايير الأخلاقيّة: ففضلا على الحصول على الموافقات المستنيرة لأولياء الأمور، سعينا الى المحافظة على سريّة المحادثات عند اجراء المقابلات بعدم السماح لأيّ فرد آخر بحضور الجلسات والتعهّد للمبحوثات والمبحوثين بحفظ التسجيلات في مكان آمن. فضلا عن احترام مشاعر المبحوثات اللواتي تعرّضن للعنف وخاصّة الحذر من احياء الصدمة النفسية او استرجاع التجربة الصادمة بطريقة مؤلمة، وأحيانا عند ملاحظة تأثّر الناجيات من العنف وانخراطهنّ في البكاء كنا نضطرّ الى تعديل السؤال أو الاستغناء عنه أو تقديم سؤال آخر بشكل مرح يخفّف من وطأة استرجاع الذكريات المؤلمة. وسعينا الى طمس كل المؤشّرات التي تدلّ من قريب او من بعيد على هويّة المراهقات اللّاتي شملتهن الدراسة مثل المعطيات الدالّة على مقرّ سكناهنّ (الحيّ، المدرسة، الجمعيّة) أو أسمائهنّ، فكل الأسماء الواردة في المقال، هي أسماء مستعارة بما في ذلك أسماء الفتيان واسم ممثّلة الجمعيّة.

وقد اخترنا مقاربة الظاهرة وفهم تمثّلات المراهقات للعنف الرقمي من خلال ثلاثة عناصر كبرى، يتمثل العنصر الأول في خصوصيّة التنشئة الاجتماعيّة وأنماط الاستخدام في الفضاء الرقمي وفيه سنحاول فهم كيف يمكن للتنشئة الاجتماعية أن تُؤطّر الاستخدام أو تُؤثّر فيه، أما العنصر الثاني فيهتمّ بالتمثّلات ومحاولة فهم كيفيّة تعريف المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي من خلال تفاعلهنّ/هم اليومي وتقييمهنّ/هم للممارسات الرقميّة العنيفة. ولأنّ لكل تجربة خصوصيّاتها فقد اخترنا في العنصر الثالث رسم «بورتريه سوسيولوجي» لمراهقة ناجية من عنف رقمي لفهم مختلف الممارسات الرقميّة المشجّعة على وقوعه والعوامل الاجتماعية المساعدة على إعادة انتاجه.

فكيف يمكن للتنشئة الاجتماعية الرقميّة أن تؤثّر في استخدامات المراهقات والمراهقين للميديا الاجتماعيّة؟

1. التنشئة الاجتماعية وأنماط استخدام المراهقات والمراهقين للميديا الاجتماعيّة

مع اكتساح الرقمي جميع مرافق الحياة ظهرت بعض المصطلحات المرتبطة به ومنها مصطلح التنشئة الرقميّة التي تقصد عمليّة اكتساب القيم والمعايير والمهارات المتعلقة بالعالم الرقمي، وفي هذا العنصر من المقال سنحاول فهم جدليّة التأثير المتبادل بين التنشئة الاجتماعية والاستخدام.

1-1 التنشئة الرقمية وخصوصية البيئة الاجتماعية

تنتمي عيّنة الدراسة الى حيّ شعبي بتونس العاصمة وهو من الأحياء التي تفتقد الى عدّة مرافق مثل غياب الفضاءات المدرسية ما بعد المرحلة الابتدائية، فيضطر الأطفال بعد السنة السادسة من التعليم الابتدائي الى مغادرة الحيّ والتوزّع على المدارس الاعداديّة ثم المعاهد الثانويّة في أحياء متنوّعة من مدينة تونس، وبالتالي يفترق زملاء الدراسة وتتكوّن شبكات صداقة جديدة وتظل العلاقة مع زملاء المرحلة الابتدائيّة في الحيّ أو عبر الفضاءات الافتراضيّة. ويشكّل الحصول على الهاتف الذكيّ وولوج العالم الرقمي مؤشّرا لهذه المرحلة الانتقاليّة عند بعض المراهقات والمراهقين ومثل الكثير من الأسر التونسيّة فانّ الهاتف وان كان لغرض التواصل مع الأبناء خلال اليوم الدراسي، فهو كذلك مكافأة للنجاح في السنة الختاميّة للمرحلة الابتدائيّة. غير أنّ هذه الوسيلة تكون غير متاحة لكافة الأطفال. تقول عهد (18 سنة)» لم أتحصّل على هاتف ذكيّ خاص بي الّا منذ سنتين، حيث اضطرت أمي الى اقتنائه بعد انخراطي في موجة من البكاء الشديد جرّاء إهانة احدى بنات الحيّ لي عندما طلبت منها استعارة هاتفها (نبزتني)». واعتبرت عهد أن عدم امتلاك الفرد لهاتف مثل أصدقائه يشعره «بالإذلال». اذ أصبح عدم امتلاك هاتف جوّال من النوع الذكيّ بالنسبة الى هذه الفئة العمريّة مؤشّرا على الحرمان والشعور بالدونيّة خاصّة في الأوساط الجديدة التي يُزاولون فيها دراستهم أين يتباهى الأقران بأصناف و(ماركات) الهواتف التي يملكونها. ويصبح دليلا على القيمة الاجتماعيّة وهو ما يجعله بمثابة المكوّن للتمييز الاجتماعي[30] La distinction كما يذهب الى ذلك بيار بورديو Pierre Bourdieu .

وحسب نتائج دراستنا فإنّه قبل الحصول على الهاتف الذكي الخاص بهما، يكون المراهقة والمراهق في تبعيّة لهاتف أحد أفراد العائلة وخاصّة الأمّ بالنسبة الى الجنسين والاخت الكبرى بالنسبة الى الفتيات. وتبيّن الاحصائيات انتشار استعمال الهاتف الجوال في تونس، اذ تشير أرقام المعهد الوطني للإحصاء لسبتمبر 2025[31] الى أنّ 95 بالمائة من الأسر التونسيّة تمتلك هاتفا جوّالا وأنّ 40،4 بالمائة هي نسب نفاذ هذه الأسر الى الانترنت، وان تونس الكبرى تُعد من المناطق الأكثر نفاذا الى الانترنت (تصل النسبة الى 84 بالمائة).وقد أكّدت مناقشات المجموعة البؤريّة ذلك فقد أكّد المراهقات والمراهقين أنّه من اليسير الاتصال بالإنترنت في المنازل او المدارس او الفضاءات العموميّة مثل المكتبات والجمعيات والمقاهي لمن يرتادونها. تقول فاتن: «في أيّ مكان يمكن لك أن تجد «الويفي» متاحا للعموم، في المقهى، في المكتبة عند نسخ الوثائق او في المعهد». ويقول وائل:» حتّى «ويفي» البلديّة متاح». ويُعد الهاتف الجوّال الجهاز الأكثر استعمالا، بل إنّه المحبّذ لدى الكثيرين ممّن شملتهم الدراسة وخاصّة الفتيات، ويحبّذ الفتيان الحاسوب خاصّة لأغراض الدراسة او متابعة المقابلات الرياضية او الترفيه وغالبا يكون استخدام الهاتف الذكيّ خارج المنزل بالنسبة للفتيان وفي غرف النوم بالنسبة للفتيات. وهذا الاستخدام قد يصل معدّله لدى عيّنتنا الى حدود ثلاث ساعات في اليوم في أوقات متفرّقة، مع ملاحظة وعي لديهم بأنّ الهاتف هو مضيعة للوقت. غير أنّ المعدّل قد يتجاوز الثلاث ساعات عند بعض الفتيات مثلما هو الحال بالنسبة الى كل من عهد (18 سنة) وفاتن(17سنة) اللتين صرّحتا أن علاقتهما بالهاتف الذكي تصل الى درجة الإدمان، تقول فاتن:» الهاتف لا يبارحني، ففي الليل أبقى (نسكرولي) أتصفّح التيك توك او انستغرام الى أن يباغتني النّوم». وتقول عهد: «أتركه فقط عند وضعه في الشاحن والاستعداد للذهاب الى المعهد».

(30) Bourdieu, P. (1979). La distinction : Critique sociale du jugement, Paris, Éditions de Minuit. Édition électronique du livre a été réalisée le 05 janvier 2016.consulté le 28 Avr 2026.

(31) وزارة الاقتصاد والتخطيط (2025)، نشرة إحصائية حول تكنولوجيات الاتصال والمعلومات، المعهد الوطني للإحصاء، تعداد 2024.

وهكذا يصبح امتلاك الهاتف الذكي بالخصوص ضرورة حياتيّة واجتماعيّة لدى الأطفال والشباب. وقد عرفت العائلات قيمة هذا الجهاز في حياة أبنائها فأصبح وسيطا في التربية فهو أداة للمكافأة أو العقاب. لكن التنشئة الاجتماعية للأسرة القائمة على منطق هذه الثنائيّة قد لا تُجدي نفعا مع تكنولوجيات الاتصال الحديثة فان يقبَل المراهق والمراهقة عن مضض عقاب العائلة بالحرمان من الهاتف المتّصل بالإنترنت الا أنّهما قد يتفصّيان من عقوبتهما باستنباط حلول أخرى، يقول لؤي:» قد يفتكّ الوالدان الهاتف الذكيّ لكن يُمكن للطفل الالتجاء الى فضاء الانترنت العمومي وتصفّح الفايسبوك الخاصّ به»، وهكذا تبقى العلاقة مع الميديا الاجتماعية والأصدقاء قائمة، لا تطالها رقابة العائلة، لأنه قد تكوّنت علاقة حميميّة بين المراهق/ة وهذه الشبكات وأصبحت عبارة عن فرض وجود، وكذلك نوع من الإدمان. لكنّنا لاحظنا خلال المناقشة أن المراهقات والمراهقين الأصغر سناّ هم الأقلّ تعلّقا بالهاتف الجوّال والأكثر التزاما بالضوابط التي يفرضها الأب أو الأمّ، اذ يرى لؤي (15سنة) أن الهاتف الجوّال لا يقع اصطحابه خلال الامتحانات وبيّنت يسرى (15 سنة) انها تحتاط عند استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية لأنها تعرّضت للعقوبة من والدها جرّاء قبولها الغرباء في قائمة أصدقائها. ويقول وائل وهو أصغرهم سنّا(13سنة): «والديّ يحرماني منه وانا تعوّدت على ذلك»، وكأنّ سلطة الأبوين تكون نافذة أكثر مع صغار السنّ، فهما بهذه السلطة التربويّة يوجّهان السلوك ويمثّلان المرجع الأساسي للقيم والانضباط. كما أن الأصدقاء الافتراضيين لهذه الفئة تقتصر على العائلة والأصدقاء المقرّبين.

وتفاوتت اهتمامات الفتيات والفتيان فيما يبحثون عنه في الانترنت وبالترتيب كانت الأولوية للترفيه فالدراسة والبحث عن المعلومات ثم التواصل مع الأصدقاء. أمّا بالنسبة الى شبكات الميديا الاجتماعية فتكون بداية الاستخدام مع موقع فايسبوك ثم التحوّل الى استخدام تيك توك فأنستغرام وسنابشات، بل أنّهم يفضلون اليوم أنستغرام وتيك توك[32] ويُبرّر بعضهم هذا التحوّل لما تقدّمه المنصّتان من مزايا تقنيّة لا تتوفّر في الفايسبوك. ويفضّل جميعهم فتيانا وفتيات الاستخدام الفردي، مع المحافظة على الخصوصيّة خاصّة بالنسبة الى الرسائل الخاصة بين الأصدقاء، رغم أنّ جلّهم كانت بداياتهم باستخدام حساب أحد أفراد العائلة على موقع فايسبوك الأمّ أو الأخت الكبرى بالنسبة للفتيات، أو انشاء حساب خاص في هاتف جوّال أحدهما، لكن الحصول على هاتف ذكيّ خاصّ يكون دليلا على التحرّر من التبعيّة، فهو يمثّل وسيلة للتملّك والاستقلاليّة في الوقت نفسه خاصّة في سن معيّنة تقترب من سنّ النضج، فمثلا انتهاء المرحلة الثانوية يتزامن حسب مارتان أوليفيه وفرانسوا دي سانغلي Martin Olivier et François de Singly « مع ازدياد استخدام الهاتف اذ يسعى الشباب الى مزيد الاستقلالية» [33].

وهذا التوق الى الاستقلاليّة عبر الفضاء الرّقمي لا يبدأ من فراغ بل يحمل معه رواسب التنشئة الاجتماعيّة داخل الأسرة مشكّلة ما عبّر عنه بيار بورديو بالهابيتوس[34] «بوصفه نسقا من الاستعدادات الموجّهة نحو الممارسة»، وبالتالي يكون له دور في طريقة التفاعل والتعبير والتقييم في فضاء مفتوح ومجهول قد يساهم في إعادة بناء العلاقات الأسرية.

فكيف ساهمت الميديا الاجتماعية في تقليص دور الوالدين في تجارب أبنائهم الرقميّة؟

2-1 تقلّص دور الأسرة و ظهور أشخاص مرجعيين جدد في حياة المراهقات والمراهقين

أجمع جلّ المراهقات والمراهقين على أن بداياتهم مع العالم الرقمي وخاصّة الميديا الاجتماعيّة كانت عن طريق الأمّ أو الأخت أو الأخ الأكبر سنّا وتكون العلاقة أقوى مع الإخوة خاصّة لتعلّم بعض أبجديّات الاستخدام وفي مرحلة موالية يكون لأحد الأقارب دور في رسم هذه البدايات، لكنّها ليست دائما سليمة، تقول يسرى: «لقد كانت احدى قريباتي هي التي تُقدّم لي النصائح وعلى اثر تطبيق احداها نلت عقوبة بدنيّة من والدي فقد نصحتني بقبول الغرباء في قائمة أصدقائي الافتراضيين حتى يصبح لديّ عدد كبير من الأصدقاء وعندما طبّقت ما قالته وشت بي لوالدي ومن يومها صرفت نظرا عن نصائحها». لكن نصائح الاخوة تكون مختلفة، تقول عهد:» بدأت علاقتي بالهاتف الذكيّ مع اختي، كنت أستخدمه للعب ثم فتحت لي حسابا على فايسبوك وعند حصولي على هاتفي الخاص ظلّت تسدي لي النصائح

(32) بيّنت الاحصائيات لسنة 2025 أنّ 68 بالمائة من المنخرطين في تيك توك في تونس تتراوح أعمارهم بين 13 و24 سنة.Djaziri, M. (2025). Les chiffres clés des réseaux sociaux en Tunisie (2025) – Analyse complète. Medianet. medianet.tn

(33) Martin, O., & de Singly, F. (2000). L'évasion amicale : L'usage du téléphone familial par les adolescents. Réseaux, 18(103), p104, 91-118. doi.org

(34) Bourdieu, P. (1986). Habitus, code et codification. Actes de la recherche en sciences sociales, 64, P 40. doi.org

خاصّة ما أنشره من محتوى على تيك توك وانستغرام». وقد أعربت أكثر من فتاة عن كون الأخت الكبرى كانت سندا ومرافقة ايّاهن في التعرّف على العالم الرقمي وتنبيههنّ من مخاطره. تقول ألفة(17سنة):»لقد تعرّضت الى تهديد على الفايسبوك وقد حلّت المشكل أختي الكبرى»، فالأخت الكبرى (بالنسبة للفتيات) او الأخ الأكبر (بالنسبة للفتيان) يكون الشخص المرجعي في علاقة بالعالم الرقمي، ويُنظر اليه كقُدوة فيحظى بالشرعيّة الرمزيّة باعتباره محوريا في نقل المعايير والقيم وبناء التمثّلات بما في ذلك فهم العلاقات الاجتماعية والانفتاح على الآخرين خاصة بالنسبة لمن هم في مرحلة بداية المراهقة وبحاجة الى بناء هويتهم الاجتماعيّة. وتختار المراهقة او المراهق الشخص المرجعي الذي يكون داعما لها/له بحيث يعزّز تقديرها/ره لذاتها/ته واستقلاليّتها/ته.

وقد يلجأ كل من الفتاة والفتى في مرحلة موالية الى أشخاص مرجعيين آخرين تكون العلاقة بينهما نديّة ولا تحتكم الى سلطة رمزيّة وهم الأقران، بحيث يمكن للفتاة مثلا أن تروي أدق تفاصيل حياتها الى صديقتها في علاقة بأصدقائها الافتراضيين وخاصّة الذكور منهم وربما بعض الأسرار المخفيّة على العائلة، تقول عهد:» لقد تعرّضت الى الابتزاز العاطفي الرقمي من أحدهم وساءت صحّتي، لكنّني لم أستطع اخبار أي أحد غير صديقة مقرّبة ورغم كونها صغيرة السنّ مثلي الّا انّها تمكّنت من اخراجي من تلك الحالة التي وصلت حد الاكتئاب».

ونستنتج مما سبق تقليصا لدور الأسرة لحساب الأقران خاصّة مع الانتشار الرقمي واتّساع الهوّة بين الأبناء وأوليائهم من غير المواكبين للتحوّلات التكنولوجيّة. فالأقران والأصدقاء «يشكّلون بدورهم مصدرا أساسيا من مصادر تكوين سلوكيات المراهق ومواقفه»[35]. بما في ذلك السلوكيّات الرقمية فيكون التواجد على أكثر من موقع للميديا الاجتماعيّة أسوة بالأصدقاء وربما تفاخرا بامتلاك قاعدة كبرى من الأصدقاء الافتراضيين ومكانته عندهم المعبَّر عنها بكثرة عدد «الإعجابات» (Likes) التي تحظى بها منشوراته وتدويناته، يقول وائل:» عندما يضع أحدهم احدى علامات الاعجاب قد يجدها الفرد شيئا عظيما وقد يُصّدق أنّ الشخص معجب به». ويصل الأمر بالفتيات الى التفاخر بالدخول في علاقة عاطفيّة وإن كان الحبيب افتراضيّا. وهو ما يُعدّ تمثّلا للمكانة الاجتماعيّة عبر المؤثّرات الرقميّة واعترافا اجتماعيّا منشودا في عالم رقمي يُعاد فيه إعادة تعريف الصداقة.

وقد تتضاءل قيمة الأشخاص المرجعيين عندما يشتدّ عود الفتيات والفتيان رقميّا فيكوّنون مجتمعا خاصا بهم، اذ ساهم الفضاء الرقمي في تحقيقهم الهويّة الاجتماعيّة المرغوبة، ومن خلال التفاعل الرمزي تتكوّن لدى الفتاة والفتى تمثّلات جديدة للذات وللآخر وتتحقّق لديهما طموحات في الاندماج الاجتماعي واثبات الذات، لكن هذا العالم الافتراضي ليس دائما آمنا وقد ينتشر فيه العنف. ويكون للأقران تأثير في تشكيل التمثّلات للعنف الرقمي، باعتبار أنّ التمثّلات كما عرّفها سيرج موسكوفيسي Serge Moscovici [36] هي شكل من المعرفة الشائعة، تهدف الى بناء واقع مشترك داخل جماعة اجتماعية، وتسمح لأفرادها بفهم العالم والتواصل فيما بينهم. وبذلك تتمثّل وظيفتها الأساسية في فهم الواقع وتوجيه السلوك والتواصل، فهي تساهم في تفسير الواقع المحيط بنا والحفاظ على علاقات رمزية معه من جهة، وإسناد معانٍ إليه من جهة أخرى.

(35) مركز المرأة العربيّة للتدريب والبحوث «كوثر» (2003). الفتاة المراهقة الواقع والآفاق. أديب نعمة منسّق التقرير. ص214

(36) Guimelli, C. (2009). Les représentations sociales (Chap. 3). Dans La pensée sociale (p. 63-78). Paris, Presses Universitaires de France. doi.org

2. تمثّلات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي

سنحاول في هذا العنصر فهم كيفيّة اعادة المراهقات والمراهقين تعريف العنف الرقمي من خلال التفاعل اليومي والتأويل وتبيان أن التجربة هي عمليّة إعادة تشكيل مستمرّة عبر التمثّلات الاجتماعيّة وأنّها نتيجة سيرورات تفاعليّة واجتماعيّة.

1.2 إعادة تعريف العنف الرقمي من خلال تأويلات المراهقين والمراهقات وتقييمهنّ/هم له

يبدو أن تعدّد المصطلحات الخاصة بالسلوكيّات العدائيّة والمهينة على الانترنت بين مختلف المدوّنات والمرجعيّات أحدث خلطا لدى الناشئة حول مفهوم العنف الرقمي، وزاد تعدّد المصطلحات من حدّة هذا الخلط، فعندما طرحت سؤالا في المجموعة البؤريّة حول فهمهم للعنف الرقمي ساد السكون لبُرهة، وتداركوا الأمر عندما تلفّظت زميلتهم عهد بمصطح «العنف السيبرني» الذي يعرفونه لأنّهم تلقوّا تدريبا حوله، واتّضحت الصورة لديهم فهم يعرفون أشكاله ويُعدّدونها، فهي بالنسبة اليهم: ابتزاز، تلاعب بالصور، تهديد بالكشف عن الأسرار، تضليل، نشر الصور دون استئذان، فبركة الصور، الابتزاز العاطفي والمراهنة، نشر صورة لأحدهم ووضع «ميمز»[37] بغاية الاضحاك ونشرها على أوسع نطاق، فضلا عن نشر الأكاذيب بغاية تشويه السمعة. وترى منى أنّ العنف الرقمي أن « يقوم أحدهم بتصويرك دون إذن وينشرها مع «ميمز» بما يعني فكاهة ويقوم الناس بإعادة نشرها (يقوم واحد بتصويرك من غير «أوتوريزاسيون» ويهبطها مع «ميمز» «كوم كوا» ضحكة والعباد تبارتاجي)» ويقول لؤي:» تقوم بإعادة نشر شيء معيّن ويأتي من يقوم بالتعليق عليه بكلام بذيء ذاك نوع من العنف (تبارتاجي حاجة ويجي شكون يعملك كومنتار فيه كلام بذيء هو نوع من العنف)». أمّا عهد فتحدّثت عن (القمار) وكيف تكون المراهنة على الفتيات شكل من أشكال العنف. وقدّمت منى (17سنة) تعريفا دقيقا للعنف الرقمي بقولها :» هو عنف يقع بطريقة غير مباشرة عبر مواقع التواصل ويكون في أغلب الحالات من شخص غير مجهول»، و قد تكون منى تعرّضت الى المفهوم في احدى الدورات التدريبيّة التي تلقّتها، سيما وأن عيّنة بحثنا تتكوّن من الأطفال المنخرطين في النوادي والجمعيّات وتلقّوا تكوينا حوله سواء في جمعيات حقوقيّة أو الكشافة أو في إطار تربوي في بعض المدارس الاعداديّة والمعاهد الثانويّة بمبادرة خاصّة من بعض الأساتذة دون أن يكون هؤلاء من المختصّين في التكنولوجيا مثل أستاذ للتاريخ والجغرافيا كما أخبرنا بعضهم بذلك. ويعتبر المراهقات والمراهقين الابتزاز ونشر الصور الأكثر شيوعا بين أشكال العنف الرقمي وأن الفتيات هن الأكثر استهدافا.

وبدا مصطلح «التنمّر الالكتروني» الأكثر وضوحا في أذهان أفراد العيّنة، وعندما سألتهم عنه تعالى صوت عهد (18سنة) مازحا:» أنا (ياما تنمّرو عليّ)» بمعنى تعرّضت للتنمّر عديد المرّات. وتقول فاتن (17سنة) مازحة: «يتنمّرون حتى على من بإصبعه اعوجاج»، وكانت إجابات الفتيات بالخصوص توحي وكأنّنا أمام موضوع للمزاح، في حين أن التنمّر الالكتروني[38] يُعدّ حسب التقارير الأمميّة من أخطر أشكال العنف التي تطال الأطفال و قد يؤدّي بهم الى الانتحار، وتختلف تعريفات المراهقات والمراهقين للعنف الرقمي وفقا للسياق الاجتماعي والثقافي وكذلك التجربة الشخصيّة، فالفتاة نفسها التي كانت مصدر الدعابة عند ذكر التنمّر الالكتروني في المجموعة البؤريّة، كانت عند محاورتها في المقابلة نصف الموجّهة متأثّرة جدّا الى حد البكاء وهي تتحدّث عن التنمّر الالكتروني الذي طالها بسبب شكلها ما جعلها تتوقّف عن نشر صورها وفيديوهاتها لمدّة زمنية معيّنة نتيجة التأثّر بالتنمّر، وقد يكون لتأثير الأقران دور في اظهار عكس ما تبطنه. و بيّنت دراسة مقطعيّة تحليلية[39] تم إنجازها بجهة صفاقس سنة 2024 أنّ التنمّر الالكتروني منتشر بشكل ملحوظ بين المراهقين وأن له تأثيرات سلبيّة على صحتهم النفسية. وقد يجهل بعض الفتيات والفتيان طبيعة ما يتعرّضون اليه من محتويات مسيئة وتختلف تقييماتهم لها. وحسب عيّنتنا يختلف كذلك التفاعل فنجد من يأثَر الصمت أو ينسحب من المنصّة. وهو ما يتوافق مع ما جاء في دراسة قوديشو وزملائه[40] بأن مواقف الفتيات الأكثر سلبية تجاه العنف اللفظي قد يؤثّر على مشاركتهن في المناقشات عبر الإنترنت بشكل عام.

(37) هو مصطلح لوصف الصور أو النصوص والفيديوهات التي يقع نشرها وتداولها على الانترنت وتكون ذات طابع ساخر.

(38) حافظنا على التسمية كما هي متداولة.

(39) Ben Touhemi, D., Chaabane, M., Khemakhem, K., Chiha, K., Ayadi, H., & Moalla, Y. (2024). Cyberbullying and mental distress among adolescents in secondary school: Tunisian cross sectional study. Annales Médico-psychologiques, revue psychiatrique. https://doi.org/10.1016/j.amp.2024.11.013

(40) مرجع تم ذكره سابقا

ولتحليل تمثّلات المراهقات والمراهقين لمفهوم العنف الرقمي، من الضروري دراسة المواقف التي تكوّنها الفتيات والفتيان حوله وتقييمهنّ/هم له، لأن الفاعل الاجتماعي كما ذهب الى ذلك فرانسوا دوبي François Dubet هو فاعل تأويلي يُنتج المعنى من خلال تجربته(Dubet,1994). سيما وأنّ هذا الفاعل أصبح مع ظهور الميديا الجديدة مستخدما نشطا ومنتجا يلعب دورا في تأويل الرسالة كما تحدّثت عنه الباحثة البريطانية سنية لوفينغستونSonia Livingstone في كتاباتها[41]، وهو ما يحيلنا الى مفهوم المتلقي النشط عند مدرسة الدراسات الثقافية[42]وبالخصوص أعمال ستيوارت هال ونموذجه النظري «التشفير وفك التشفير»[43]والأنماط الثلاثة للتلقي بقبول المعنى أو رفضه أو التفاوض حوله بقبول جزء وإعادة التفسير.

وفي مختلف المقابلات التي أجريناها مع المراهقات والمراهقين لمسنا موقفا موحّدا من رفض العنف الرقمي مع ملاحظة تقييما تفاوضيا فيما يتعلّق بالتنمّر الرقمي وخاصّة في أوساط المشاركين في المجموعة البؤريّة، فهم وان يستهجنون هذا النوع من العنف ويرفضونه من الغرباء فانهم يقبلونه من الأصدقاء وقد لاحظنا اجماعا في ذلك وتعاليا لضحكاتهم، والجدير بالملاحظة أنّ التنمّر الإلكتروني بالنسبة اليهم هو فقط التنابز بالألقاب وليس كما قدّمته المدوّنات الأمميّة[44]، ونحن هنا أمام إعادة تأويل لمتلقين نشطين يقيّمون الأشياء كما يرونها هم. فبالنسبة إليهم التنمّر مقبول بين الأصدقاء. تقول عهد: «نشتم بعضنا البعض وليس الآخرين»، وتؤكّد فاتن: «نعم بيننا أمر عادي»، وتقول منى: «مثلا عندما تكون الفتاة بدينة نقول لها يا دبّة أو دبدوبة»، وتتتالى تبريرات التنمّر على ضعيف البصر والبدين وسط الضحكات، فالأمر بالنسبة إليهم شيء عادي لأنه دعابة بين الأصدقاء وليس من غرباء. تقول فاتن:» قد تنزعج إذا بدرت الإساءة من شخص لا تعرفه ينشر صورة لك ويتنمّر أو يشتمك أكيد ستنزعج». وقد صدرت التعليقات بالخصوص من الفتيات الأكبر سنّا في المجموعة ما يبدو وكأنّه تطبيع مع العنف اللفظي لكنّه تأويل فريد لهذه الفئة، وهو ما يختلف مع ما ذهبت اليه دراسة[45] أمريكيّة بأن الفتيات المراهقات أكثر ميلا من الفتيان لاعتبار التنمّر الالكتروني مشكلة كبيرة. وهو ما بيّنته كذلك دراسة فرنسيّة[46] أبرزت الاختلافات بين الجنسين في تقبّل الرسائل العنيفة، وان الفتيات أكثر حساسيّة تجاه العنف اللفظي مقارنة بالفتيان، كما أنّهن أقلّ تقبّلا للإساءة اللفظية عبر الانترنت حتى عندما تكون مغلّفة بروح الدعابة. لكنّ الباحثة دانا بويد ترى أنّ المراهقين/ات قد يقبلون التنمّر لأنّهم لا يريدون تصوير أنفسهم كضحايا وأن يراهم أقرانهم ضعفاء «فيبتسمون ويضحكون متجاهلين الألم أمام النّاس»[47].

بل أنّ العنف اللفظي قد يكون مبرّرا كذلك لدى جل أفراد العيّنة إذا كان لردّ الفعل على اعتداء رقمي. تقول عهد:» في احدى المرات شتمني أحدهم فما كان مني الاّ أن شتمته وعندما واصل في الشتيمة واصلت أكثر منه، وذلك كردّ فعل»، ويرى لؤي أنّه من الممكن ردّ الشتيمة على واتساب أو مسنجر لكن الأمر يكون صعبا عند المواجهة المباشرة. لكن من المفارقة أنّ ردّ الفعل هذا لا يعتبره المراهقات والمراهقون نوعا من العنف لأنه يكون في هذه الحالة دفاعا عن النفس، يقول لؤي:»99 بالمائة من الفتيان عندما يتعرّضون الى العنف يردّون الفعل بإرجاع العنف نفسه أو أكثر منه بسهولة لكن الفتيات لا»

وهو تأويل جندري يشترك فيه الجنسين، فنجد من الفتيات والفتيان من يعتبر أن استهداف الفتيات يعود الى كونهنّ ضعيفات وكذلك لأنهن ينخدعن بسهولة أو لأنهن يصمتن ويخفن من الفضيحة وتشويه السمعة، تقول أريج:» يقولون ان الفتاة إذا حدث لها شيء تبقى موصومة طيلة حياتها» ويقول وائل» هناك فرق بين الذكر والأنثى في مثل هذه المواقف فالفتاة تتأثر في حين أنّ الفتى يتجاوز الأمر بسرعة». وحسب تقييم الفتيات والفتيان فان التعرّض للعنف الرقمي يكون أكثر لدى المراهقات نظرا لضعف شخصيّة الفتاة. بل أن من المبحوثات من وصفن الفتاة التي تتعرّض

(41) Livingstone, S., & Bovill, M. (1999). Young people, new media: Report of the research project Children Young People and the Changing Media Environment (Research report). Department of Media and Communications, London School of Economics and Political Science. eprints.lse.ac.uk

(42) مدرسة الدراسات الثقافية هي تيار نقدي يُركّز بالخصوص على كيفيّة انتاج الخطابات وتأويلها داخل السياقات الاجتماعية.

(43) نظريّة التشفير وفك التشفير لستيوارت هال Stuart Hall تؤكّد الدور النشط لمتلقي الرسائل الإعلامية الذي يكون فاعلا مشاركا في انتاج المعنى من خلال فكّ تشفير الرسالة وفقا لثقافته وتجاربه وموقعه الاجتماعي ، ويقدّم هال ثلاثة أصناف من التلقي: المهيمن (قبول المعنى كما هو) والمفاوض (قبول جزئي وإعادة التفسير) والمعارض (رفض المعنى وإعادة بنائه).

(44) تعريف اليونيسيف أعلاه

(45) Vogels E.V., (2022) « Teens and Cyberbulling ». Pew research centre. December ,15,2022 https://www.pewresearch.org/ consulté aout 2025

(46) غوديشو، مرجع تم ذكره سابقا

(47) Boyd, D. (2014). It's complicated: The social lives of networked teens. Yale University Press.P140.

للعنف بأنها تتميّز بالهشاشة وضعف الشخصية وبكونها «عاطفيّة» لذلك هي تقع فريسة سهلة للعنف الرقمي. وتجدر الإشارة الى كوننا لم نطرح أيّ سؤال يتضمّن لفظة «أنثى» أو «ذكر» في حين ذكرها المراهقات والمراهقون تلقائيّا وهو ما يعني استبطانا لمفاهيم جندريّة متجذّرة في التنشئة الاجتماعيّة تقوم على إعادة انتاج ربط القوّة بالذكورة والضعف بالأنوثة. بل أنّ نتائج البحث تبرز تمثّلات اجتماعيّة جندريّة واضحة في تفسير العنف الرقمي من قبيل «لو كان لديها أخا ذكرا لما تجرّأ أحدهم على تهديدها» كما قال وائل، الى جانب اسناد القوّة الى الرجل كميزة بيولوجيّة والضعف الى الفتاة كصفة طبيعية وهي ثنائية مرفوضة من قبل العديد من المفكّرين.

ولاحظنا لدى فئة من المبحوثين/ات من يعتقد أن المنصّات ساهمت في انتشار العنف الرقمي ويسّرته لأنّها تُغني المعتدي من المواجهة المباشرة اذ ذكرت فاتن أنّه يمكن للفرد «أن يتفنّن في الشتيمة مثلا لأنه يكون مخفيّا» وبيّن لؤي «أن العنف الرقمي قد يتحوّل الى عنف مادي إذا كان المعتدي معروفا» لكن الأمر يختلف في حال كان المعتدي من مجهولي الهويّة خاصة وأن بعض المنصّات والمواقع مثل الفايسبوك يُتيح انشاء حسابات وهميّة وهو ما اعتبرته بعض الدراسات فضاء غير آمن.

2.2 الفايسبوك موقع غير آمن للمراهقات والمراهقين

يُعدّ موقع فايسبوك الميديا الاجتماعية الأكثر استخداما في تونس حسب احصائيّات سنة 2024[48] بنسبة56،7بالمائة. غير أنّه وحسب دراسة استطلاعية أنجزها مركز الكريديف سنة 2020[49] فإنّه «يمثّل مجالا خطرا وغير آمن بالنسبة للنساء»، لانتشار أشكال من العنف تُهدّد خصوصيّة النساء والفتيات «عبر استغلال صورهنّ أو التلاعب بمعطياتهنّ الشخصيّة أو قرصنتها خاصّة وأنّ فايسبوك يُتيح استخدام الحسابات الوهميّة» (الكريديف، 2020).وهو ما لاحظناه كذلك من خلال تصريحات المراهقات والمراهقين في دراستنا هذه، فجُلّ قصص العنف الرقمي التي تحدّث عنها الفتيان والفتيات عن تجاربهم أو تجارب أترابهم حدثت بالخصوص على موقع الفايسبوك وتمثّلت بالخصوص في الابتزاز والتهديد بالصور أو البيانات وقرصنة الحسابات وانشاء حسابات وهميّة للمتضرّرين. تحدّثت فاتن وعهد عن تهديد استهدفهما وصديقة ثالثة عندما كنّ في سن الثالثة عشر، حديثات العهد بالفايسبوك وكنّ ينشرن باستمرار صورا جماعيّة لهنّ، وفي أحد الأيام تعرضت ثلاثتهنّ الى تهديد حادّ من أحدهم، يعلمهنّ بأنه يعلم عنهن كل شيء وسيُخبر عائلاتهنّ ان لم يستجبن لطلبه بإرسال صور لهنّ في وضعيّات خادشه للحياء وهو ما أثار ذعرهنّ، تقول فاتن:» لقد خفنا كثيرا فقد كنّا صغيرات السنّ لكنّنا اتّحدنا ولم نخضع الى الابتزاز وبالنسبة الى المعطيات التي هدّدنا بها المعتدي فقد انتبهنا أنّنا نحن من نشرها على موقع الفايسبوك للعموم. وبالتالي وبعد مسلسل رعب قمنا بحظر حساب المعتدي كما عدّلنا في اعدادات الخصوصيّة». وغالبا يستهدف المعتدون الفتيات والفتيان في بداية المراهقة وحديثي العهد بالفايسبوك لجهلهم بالتقنيات التي تحمي خصوصيّتهم، تقول ألفة:» في بداية عهدي بالفايسبوك أنشأت احدى الفتيات حسابا وهميّا باسمي وصورتي وبدأت إرسال دعوات الصداقة الى جيراننا وتتحدّث معهم بلغة سيئة (نابية)، وما كان منّا الا اشعار المنصّة وحظر الحساب المزيّف». وتقول سمر:»لقد طلب أحدهم من أخي (11سنة) التقاط صورة له لنصفه الأسفل عندما يدخل للحمام وارسالها له» مبيّنة أن أخاها لا يعرف الشخص وقبل دعوته لأنه كان في قائمة أصدقاء أحد زملائه في الدراسة. ويُعدّ الصديق المشترك دليلا على مصداقيّة الشخص الذي يقدّم طلب الصداقة لدى الكثيرين. فموقع الفايسبوك يسمح بإنشاء حسابات وهميّة يستغلّها المعتدون في استهداف الأطفال وبالخصوص الفتيات ويسعون الى ابتزازهن مستغلّين صغر سنّهنّ وخوفهنّ من الوالدين اللّذين غالبا لا يتفهّمان ويُلقيان اللوم على الفتاة ويكون العقاب الضرب المبرح وافتكاك الهاتف الذكي. وان أجمع جلّ المشاركين على كون حظر الحسابات يعدّ الحلّ الأنسب، واعتبرت فاتن: «البلوك[50] أحسن mean (وسيلة)» فانهم أكّدوا أنهم أصبحوا ينتقون أصدقاءهم الافتراضيين بدقّة حتّى لا يقعوا ضحايا تهديدات أشخاص مجهولين. لكن أحيانا قد يأتي الضرر من أشخاص قريبين من الوجدان فقد تتأذّى المراهقات بسبب قصص حب انطلقت من الانترنت، على غرار عهد التي تعرّفت على حبّها الأوّل كما تقول من خلال الفايسبوك وكانت تتواصل معه عبر المسنجر وامتدّت اللقاءات الافتراضيّة الى الواقع

(48) Twaibia, I، مرجع تم ذكره سابقا.

(49) الحمامي، ص. (إشراف). (2020). العنف ضد النساء في الميديا الاجتماعية: الفايسبوك نموذجا.دراسة استطلاعية. مركز ا لبحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة (الكريديف). ص57.

(50) Le blocage

لتكتشف بعد أشهر قليلة أنها وقعت ضحيّة مراهنة بين الشباب وهو ما أفقدها توازنها وتمكّن المرض منها وألزمها فراشا بالمستشفى. وفي مختلف المقابلات التي أجريناها تكرّر سرد قصّة حديثة لإحدى الفتيات التي تم التلاعب بصورها على الانترنت وعلى موقع الفايسبوك بالذات ، وتباينت مواقف المبحوثات والمبحوثين تجاهها فمنهم من أبدى تعاطفه معها ومنهم من استهجن صنيعها، فهذه الفتاة حسب ما جمّعناه من مختلف السرديات في المجموعة البؤريّة والمقابلات كانت على علاقة عاطفيّة بأحد الشباب الذي كانت تتحدّث اليه عبر الفايسبوك وعبر تطبيقات التواصل عبر الفيديو وفي احدى المرات طلب منها التعرّي وصوّرها[51] دون اذنها بلباس خليع وأرسل الصورة الى أحد أصدقائه الذي أرسلها بدوره الى صديقة له وتولّت هذه الصديقة ارسال الصورة الى كافة زميلاتها بالمعهد الثانوي وانتشر ارسال الصورة لتصل الى كافّة التلاميذ بالمعهد والمعهد المجاور ووصلت كذلك الى الأساتذة، واختلفت آراء من قابلناهم في تبرير العنف الذي طال زميلتهم، غير أن تبرير عهد المتعاطف كان ملفتا فقد بيّنت أنها استجابت لطلبه لأنها كانت تحبّه وخافت أن تخسره لكنه لم يكن في حجم ثقتها فكان مصيرها التشهير والوصم والعقاب البدني من الوالدين. لكن أريج رأت في تصرّف الفتاة ضعفا وكان عليها الانتباه في علاقاتها وفسّرت سمر الحادثة من زاوية من قام بالنشر لتُدين الفتيات اللواتي سهّلن النشر والتشهير ببنات جنسهنّ. ويتميّز موقع الفايسبوك بخاصيّة الانتشار السريع ما يؤدّي الى تضخيم الضرر بنشر المحتوى على أوسع نطاق، وتشارك المراهقات أنفسهنّ في إعادة النشر، بل يصبح المنشور متاحا للمشاهدة والتفاعل وبذلك يتحوّل العنف الرقمي بفضل خصائص المنصّة الى فعل جماعي. لكن موازاة مع ذلك يوفّر الموقع إمكانات تقنيّة للتبليغ عن المعتدين والحسابات المشبوهة فضلا عن خوارزمياته المؤهّلة لرصد الكلمات والصور والفيديوهات المهينة والعنيفة وتقييد المنشورات أو حظرها.

و يختار الفتيان والفتيات التثقيف الذاتي والتعلّم الذاتي منهجا ضروريّا لاكتساب المهارات التكنولوجيّة للتحكّم في اعدادات الخصوصية على الميديا الاجتماعيّة وكشف الحسابات الوهميّة والتفطّن الى الاعتداءات منذ بداياتها، فضلا عن انتقاء المنصّات والمواقع. وجلّ من قابلناهم أكّدوا أن موقع فايسبوك لم يعد من المواقع المحبّذة لهم وللكثير من أترابهم وهناك من يعتزم التخلّي عنه أو استخدامه فقط للتواصل مع العائلة، ومن بين الشباب التونسيين من هجر هذا الموقع لأنه وجد في المنصات الأخرى البديل أو لأنه لم يعد يتمتّع بالمصداقيّة، ففي دراسة[52] أنجزتها منظّمة أنا يقظ تبيّن أنه رغم شيوع استخدام الفاسبوك في تونس الا أنّ «مكانته لدى المراهقين تتآكل» وذلك بسبب انتشار الأخبار الزائفة، وهو ما يمكن أن يشير الى درجة من الوعي لديهم، وهو وعي تُذكيه غالبا التجربة. ونجد المفكّر الفرنسي فرانسوا دوبييه[53] واضع مقاربة سوسيولوجيا التجربة يؤكّد على كون الفاعل الاجتماعي يبني أفعاله من خلال تأويله لتجاربه واعادة انتاج معناها.

فكيف يمكن أن يكون العنف الرقمي تجربة للفهم والتأويل وإعادة بناء الذات؟

(51) Capture d'écran.

(52) صيّاح محمد الحبيب. (2020). الشباب التونسي والاعلام: تصوّرات حول الاعلام التقليدي والاعلام البديل. منظّمة انا يقظ، ص21

(53) يضع دوبيه ثلاثة أسس منطقيّة للفعل الاجتماعي، يتمثّل الأول في منطق الاندماج Logique d'intégration ويرتبط بالقيم والمعايير الاجتماعية، والثاني هو منطق ال استراتيجيّةLogique stratégique ويتصرّف وفقه الفرد بشكل عقلاني لتحقيق مصالحه، أمّا الثالث فهو منطق الذاتيّة Logique de subjectivationاذ يسعى الفرد لبناء ذاته وهويّته الخاصّة.

3. بورتريه سوسيولوجي
عندما تتحوّل التجربة الى مسار حياتي يعيد تشكيل الذات

يرى برنار لاهير[54] Bernard Lahire أنّ كل فرد يحمل أنماطا من التفكير والشعور والتصرف التي هي نتاج تجاربه الاجتماعيّة المتعدّدة، وفي هذا البورتريه السوسيولوجي نحاول دخول «عالم» المراهقة سمر[55] لفهم تجربتها كناجية من عنف رقمي متعدّد انطلق بالتحرّش فالتهديد ثم فبركة الصور الخاصّة بها والتهديد بنشرها وصولا الى الايحاءات الجنسيّة والتهديد بالاغتصاب، ولن نقوم بعمليّة سرد لقصّة سمر بقدر سعينا الى ابراز أن تجربتها هي نتاج سياقات وعوامل اجتماعيّة وثقافيّة معيّنة، محاولين فهم هذه السيرورة الحياتيّة لمراهقة تقطن في حي شعبي بتونس العاصمة.

أ. الهاتف الجوّال جواز سمر نحو الاستقلاليّة

سمر (18 سنة)، تُزاول دراستها بالسنة الثالثة ثانوي بأحد المعاهد الخاصة بمنطقة شبه راقية بالعاصمة، تنتمي الى عائلة متوسّطة اجتماعيّا يعولها الأب ذو المستوى التعليمي المحدود، وهي الابنة الوسطى والبنت الوحيدة لأخوين ذكورا، انخرطت منذ سن التاسعة في النوادي بإحدى الجمعيّات الناشطة بالجهة، واختارت الرسم والمسرح كهوايات ونشاط بهذه النوادي. كانت تلميذة متميّزة في المرحلة الابتدائيّة والاعداديّة وما بين المرحلتين تحصّلت على هديّة من والديها مثّلت منعرجا في حياتها. فبعد اجتيازها بنجاح السنة الختاميّة من المرحلة الابتدائية وانتقالها الى احدى المدارس الاعداديّة بالجهة بعيدا عن الحيّ وسكنى العائلة اقتنى الأب لابنته هاتفا من النوع الذكيّ حتى يطمئنّ عليها خلال مزاولة الدراسة وكان عمرها آنذاك حوالي 12 سنة، لكن سمر وبعد سنتين من حصولها على الهاتف، كانت لها تمثّلاتها الخاصّة لهذا الجهاز الذي اعتبرته عالما جديرا بالاكتشاف، خاصّة بعد دخولها مجال الميديا الاجتماعيّة وشبكاتها وانشائها حسابا خاصا على موقع فايسبوك اذ أقنعت والدتها أنه لا يمكنهما الاستمرار معا في حساب مشترك مدّعية أنّها تزعج صديقاتها بمشاهدة منشوراتهنّ. وكان ذلك في السنة التاسعة أساسي كما تقول سمر، فمُحدّثتنا تفضّل تحديد المراحل الزمنيّة وفق المسار الدراسي لا عمرها، لكن للعمر أهميّة كذلك فتاريخ دخولها عالم الميديا الاجتماعيّة صادف تاريخ دخولها مرحلة المراهقة، تقول سمر:» عندما أنشأت حسابا خاصا بي فرحت وشعرت أني كبرت، واني أتواصل مع صديقاتي بمفردي دون رقابة « وهذا الشعور بالكبر صاحبه كذلك شعور بالرّغبة في التخلّص من رقابة الوالدين المتمثّل في هاتف الأمّ والرغبة في الاستقلاليّة عن السلطة الرمزيّة للأبوين بإثبات أنّها قد كبرت وأنّ لها حياة اجتماعيّة خاصة تمثّلها جماعة الأصدقاء على موقع الفايسبوك، وهم أصدقاء من الجنسين وليس كما كان الحال في هاتف والدتها مقتصرا فقط على الفتيات، الى جانب إضافة الأهل كأصدقاء فيه.

وواصلت سمر سرد أحلامها المرتبطة باستخدام الهاتف ونشر صور توثّق تطوّرات جسديّة وتغيّرات هرمونيّة، تقول:» في تلك الفترة شعرت أنني كبرت وأصبحت أكثر جمالا، شعرت أن لي رغبة كبيرة في التعبير وقد كنت فرحة وسعيدة بذلك». فالفايسبوك كان وسيلة التواصل واكتشاف عالم جديد من العلاقات الاجتماعيّة لطفلة تبلغ من العمر14 سنة، وهي سنّ بداية تشكيل الهويّة الشخصيّة لدى المراهقة والاستقلاليّة واثبات الذات بالتعبير عن الآراء والقيم الخاصّة، فهذه المرحلة الانتقالية بين الطفولة والبلوغ تتّسم بالتغيرات البدنية والمعرفية والاجتماعية السريعة ومنها اكتمال النمو الجنسي والانجابي والتوق الى الاستقلالية واثبات الذات، ويحتاج المراهق الى من يفهم احتياجاته المعرفيّة والوجدانيّة. كما تتسم هذه المرحلة ببحث مستمرّ عن الذات[56]، ويمكن أن تكون الميديا الاجتماعية الرقميّة وسيطا لتحقيق ذلك. وسمر لم تقتصر على الفايسبوك كوسيط رقمي بل كانت مواكبة لاهتمامات جيلها وأصبح لها اليوم حسابات على كل من أنستغرام وتيك توك وهي تنشر صورا وفيديوهات باستمرار عليها وخاصّة فيديوهات تعبّر عن حالاتها النفسية، واجابة على سؤالي لماذا انشاء أكثر من حساب تقول سمر:' مثل أترابي حتى أكون مواكبة لعصري وحتى لا يقولون عني (قديمة)». وفي هذه المشاركات كأنّها تحاول اثبات أنّها اجتماعيّة ومنفتحة على الثقافة الرقميّة.

(54) Lahire, B. (2002). Portraits sociologiques : Dispositions et variations individuelles. Nathan. Hal. Science

(55) اسم مستعار اخترناه لمحدّثتنا حماية لمعطياتها الشخصيّة

(56) Mahfoudh-Draoui, D., & Melliti, I. (2006). De la difficulté de grandir : Pour une sociologie de l'adolescence en Tunisie. Centre de publications universitaire.P39.

ومثّل انتقال سمر الى المعهد الثانوي في سن الخامسة عشر المنعرج المؤلم في حياتها بتعرّضها الى العنف عن طريق شبكات الميديا الاجتماعيّة التي كانت تفضّلها وبنت أحلامها في اثبات الذات والاعتراف الاجتماعي من خلالها خاصّة في غياب الحوار مع العائلة وخاصة الأم.

فكيف غيّر تعرّضها للعنف الرقمي مسار حياتها؟

ب. التعرّض للعنف واختيار الانتقائيّة في الصداقات الافتراضية

انّ السنة الأولى ثانوي هي السنة التي تؤرّخ بها سمر الكابوس الذي عاشته طيلة سنتين ونيف، فقد كان من بين قائمة أصدقائها الافتراضيين شاب من أقاربها يشتغل خارج تونس، وكانت على تواصل معه عبر المسنجر للاطمئنان على أحواله وطمأنته على أحوال العائلة وذلك منذ أن كان لها حساب مشترك مع والدتها لكنّها عندما أصبح لها حساب خاصّ وهاتف مستقلّ وفي سن الخامسة عشر لاحظت تغيّرا في كلامه وتحوّلا في المفردات التي يستخدمها وجرأة في الصور والفيديوهات التي يرسلها. فهذا الشخص الذي كانت تتحدّث اليه باستمرار وتعتبره مثل الأخ الأكبر وترتاح الى اهتمامه بها وخوفه عليها أصبح مصدر خوف ورعب في حياة سمر التي تقول: «أصبحت رسائل على المسنجر: أنت جميلة و جسمك جميل وارسال صور لمرأة ورجل على السرير بصدد تبادل القبلات وارسال فيديوهات خادشه للحياء، لم أصدّق في البداية وكنت أقول له توقّف هذا لا يجوز أنا أختك، أو أقول لماذا ارسلتها لي أو احذفها فأنا لا أحبّذ مثل هذه الأشياء»، لكنه واصل محاولاته لاستمالتها بإرسال القبلات والأحضان عبر «الايموجي» التي توفّرها المنصّة، ومع مواصلة سمر الصمت وعدم اخبار عائلتها تمادى في مخطّطه بأن أصبح يرسل لها فيديوهات اباحيّة، ورسائل مكتوبة عبر المسنجر بحروف لاتينيّة مرفقة بالايموجي الذي يرمي القبلات او «القلوب»، وشدّد اللّهجة بتهديدها بالاغتصاب حال الالتقاء بها. تقول: «هو يصف لي الأفعال التي سيقوم بها وكأنّه مستعد لتطبيقها». وآثرت سمر الصمت ولم تُخبر والديها، وعندما تأزّمت الأمور أخبرت ابنة عمّها التي كانت قريبة منها ونصحتها بتسجيل كل المراسلات وارسالها لها حتى لا يحذفها فتفقد كل أثر يمكّنها من تتبّعه.

وقد واصل هذا القريب هرسلته لسمر مستغلا صغر سنّها وخوفها من عائلتها وخاصّة قربه من أمّها التي كانت سمر تخشاها، فكانت تحاول قطع العلاقة معه بحظره من الفايسبوك الخاص بها لكنه في كل مرة يقوم بإرغامها على قبول اضافته من حساب جديد بدعم من أمّها، وفي إحدى المرات قام بقرصنة حسابها لكنها سارعت بإشعار المنصة عن طريق الأصدقاء والعائلة وطوّقت الأمر قبل استفحاله.

وباعتبار أن هذا الشاب هو قريبها فقد كانت تلتقيه في المناسبات العائلية المفروضة عليها وكانت تشعر بأن التهديدات والتحرّش على الفايسبوك تنتقل الى الواقع، تقول:» عندما أشاهده أتخيّل أن كل ما قاله على الانترنت وكأنه يقوم بتطبيقه في الواقع وانّني في زاوية تحت سيطرته واعتدائه، لكن عليّ أن أصمت حتى لا تتّسخ صورتي أمام العائلة»، فما تخشاه سمر هو صورتها أمام العائلة وسمعة أسرتها وذاك نابع من التنشئة الاجتماعية التي تُجبر الفتاة على الصمت خوفا من الفضيحة وتحميلها مسؤوليّة ما يحدث لها، ولإمعان الأذى واجبار ضحيّته على السكوت والخوف قام المعتدي بفبركة صورة لسمر، وهي جزئيّة لم تحدّثنا عنها سمر في المقابلة نصف الموجّهة رغم أنها حدّثتنا أنّ المعتدي بحوزته صورة لإحدى قريباتهم وهي عارية وصوّرت لنا كيف أنها ضحّت حتى لا يقع كشف الأمر. لكن وبإجراء مقابلة متابعة مع السيّدة أمل ممثّلة الجمعيّة الناشطة بالحي الشعبي الذي تسكن فيه عائلة سمر كشفت لنا عن ذلك. تقول السيدة أمل:» بعد التحرّش والتهديدات قام بفبركة صور لها وهدّدها بفضحها ان تكلّمت، لكنها أخبرت أباها الذي وعدها بحل المسألة وعندما واجه عائلة الشاب ألقوا اللّوم على الفتاة واتّهموها بإغوائه وباتت هي المتّهمة ولم تجد سندا من عائلتها». فالعنف الرقمي الذي انتقل الى أرض الواقع انقلبت الأدوار فيه وأصبحت الفتاة هي المذنبة ووجدت دعما من أبيها ولم تجده من أمّها، بل هي الى اليوم تؤنّبها بأنّه لو لم تتكلّم لما حدث كل هذا ولما انقطعت عن عائلتها وتحمّلها مسؤولية قطع العلاقات. وهذه النتيجة كان المعتدي راسما لخيوطها، فقد أمعن في احكام سلطته الرمزيّة على ضحيّته التي كانت قابلة لهيمنته الرمزيّة عبر الخضوع والصمت. تقول سمر:» لا أريد أن أحكي لأمي عن أشيائي، أمي عاشت في الريف ولها عقليّة حرام ولا تفعل».

فالتنشئة الاجتماعية للأم جعلتها تتخلّى عن حماية ابنتها للحفاظ على العائلة وحماية الشرف والسمعة، بل انها لم تكن قريبة من ابنتها في حين كان يتوجّب أن يسود العلاقة القرب الوجداني والتفاعل اليومي باعتبار أن الأم هي مصدر التوجيه والتعليم للفتاة في مختلف المسائل المتعلّقة بعلاقاتها وسلوكها الاجتماعي فضلا عن القيم المرتبطة بالأنوثة والتعامل مع الجنس الآخر. فقد وجدت سمر نفسها وهي في الخامسة عشر تصارع مصيرها بمفردها وتُمعن في الكتمان كحلٍّ وقائي او استراتيجي. تقول سمر:» ربما لو تحدّثت حينها لكنت أنا المذنبة ولكنت تلقيت الضرب المبرح من والدتي».

وكما كان للوسط الاجتماعي الذي تنحدر منه الأم دور في عدم ربط خط تواصل مع الأبناء وعدم تجاذب أطراف الحديث حول خصوصياّتهم، فإنّ الانتشار المتسارع للتكنولوجيات الحديثة جعل الأبناء يتفوّقون على آبائهم من حيث المواكبة الرقميّة. فبُعد الأم عن ابنتها المراهقة وعدم الانصات الى مشاغلها قد يولّد لديها منافذ أخرى تلجأ اليها للحصول على المعلومات او الصداقات والتي تتوفّر بكميّات كبيرة على الانترنت كما أن صمت سمر وكتمانها وجعها كان له تأثير على نفسيتها وعلى دراستها.

فما هي تداعيات العنف الرقمي الذي تعرّضت له سمر على حياتها الدراسيّة والخاصّة وكيف تغلّبت على ضعفها؟

المتابعة والاستراتيجية الدفاعيّة

لم تذكر سمر دوافع التحاقها بمعهد «حرّ» بعد أن كانت تُزاول دراستها بالتعليم العمومي رغم سؤالي إياها هل كان للحادثة تأثير على دراستها فأجابت بالنفي، لكن وبطرح السؤال نفسه على السيّدة أمل، بيّنت أن العائلة اضطرّت الى تسجيلها بمعهد خاص بعيد عن مقرّ سكناها لحمايتها من التنمّر والهرسلة التي كانت تتعرّض لها نظرا لوجود أبناء من أفراد عائلة المعتدي بالمعهد العمومي. وهو ما يشير الى عمق معاناة هذه الطفلة التي اضطرت الى قطع علاقاتها مع أترابها منذ الطفولة جراء حكم عائلي يقضي بأن الفتاة هي المذنبة وعليها تحمّل عقوبة الوصم الاجتماعي وكذلك الفشل الدراسي المتمثّل في رسوبها لسنتين في السنة الأولى ثانوي وشبه انقطاعها عن الدراسة حينها، ولولا تدخّل ممثلة الجمعيّة التي قدّمت لها الإحاطة النفسيّة لكان التسرّب المدرسي مصيرا لهذه الفتاة التي مازالت الى اليوم تتعالج لدى اخصائية نفسيّة، لكنّه ورغم تقديم شكاية بالمعتدي لدى الوحدة المختصة في مناهضة العنف ضد المرأة والطفل فانّه لم تقع المتابعة لأنّ العائلة أسقطت الدعوى لتفادي مزيد من المشاكل العائليّة .

ومنذ صائفة السنة الفارطة بدأت سمر تشعر ببداية التحسّن في حالتها النفسيّة والصحيّة، خاصّة بعد التدريبات التي تلقتها في الجمعيات والاحاطة التي تمتّعت بها، وخاصة بعد أن روت أمام الملأ حكاية العنف والتهديد والتحرّش ومحاولة الاغتصاب الافتراضية التي تعرّضت لها، وهي وان تلوم نفسها لأنها لم تتكلّم في ذلك الوقت، وخافت فإنها اليوم تشجّع أي فتاة تتعرّض الى مختلف أشكال العنف الى التحدّث وتتبّع المعتدي وعدم الصّمت، وهي الآن تتطوّع في الجمعيات للقيام بذلك ، كما أنها تعتني بأخيها الصغير الذي هو في بداية سن المراهقة، وتعرّض الى محاولة الاستغلال الجنسي عبر الفايسبوك لكنها كانت تراقب باستمرار ممارسات أخيها الرقميّة فهو في سن حرجة(11سنة) وقد تصرّفت بحكمة موصية أخاها بعدم قبول الغرباء.

ووضعت سمر لنفسها استراتيجية تقوم على الانتقائيّة اذ حذفت الشبّان من قائمة أصدقائها في حساباتها المختلفة وحافظت فقط على بعض الشبان على موقع أنستغرام من زملائها بالنادي الرياضي لحاجتها تبادل المعلومات معهم حول النادي وذلك على انستغرام. كما أصبحت سمر لا تثق فيمن يرسلون «الايموجي» على الميديا الرقميّة خاصة من الأصدقاء الذكور، فهذه اللغة الرقميّة باتت تخشاها لأنّها فيما مضى كانت عنوانا للتهديد والتحرّش الجنسي الالكتروني الذي تعرّضت له. ورغم ذلك لم تقلّص سمر حضورها على مواقع الشبكات الاجتماعية فلها حسابات على كل من تيك توك وانستغرام وفايسبوك وواتساب وجعلت محادثاتها مقتصرة فقط على واتساب لأنّه أكثر أمانا حسب رأيها، وهي تتقاسم صورها باستمرار مع متابعيها وكأنها بصدد اثبات وجودها والتعبير عن صلابتها رغم شدّة الأزمة التي مرّت بها.

ولأنها ولجت الميديا الاجتماعية دون ثقافة رقميّة مسبقة ودون ارشاد أبوي أو من الاقران فقد سعت سمر الى تكوين نفسها وتقييم الأخطاء التي وقعت فيها بحسن التعامل مع التقنيات والتحكّم فيها. وقد أبرزت بعض الدراسات على غرار أعمال الباحثة دانا بويد[57] Dana Boyd أن المراهقين يكتسبون مهارات من خلال التجربة، لكنّها بيّنت أنّ هذه المهارات الأساسية تتطلب تطويرا مستمرّا وأنّه يجب أن يجمع التعليم بين المهارات التقنية والتفكير النقدي.

وقد رسمت سمر لنفسها بعض الأهداف من ذلك أن تهتم بنفسها وأن يكون لها عالمها الخاص ينطلق من غرفتها، وهي تلوم نفسها لأنّها صمتت ولم تكن قويّة وتُرجع امعان القريب العشريني في أذيتها الى ضعفها، تقول: « لأنّني ضعيفة وليس لكوني طفلة (على خاطري ضعيفة موش بنيّة)». وكأنّها بصدد تأنيب الذات على استسلامها للعنف الرمزي الذي طالها، وكأنّها من قامت بتوطيده من خلال صمتها باعتباره كما ذهب الى ذلك بيير بورديو يُمثّل شكلا من أشكال القوّة غير المباشرة التي تتوطّد من خلال قبوله أو إعادة انتاجه من الضحايا أنفسهم وذلك بشكل غير واع، اذ «تنبع من اعتراف المغلوب بشرعيّة هيمنة الغالب»[58].

و تبدو سمر اليوم فتاة قويّة مدركة للعنف الرقمي الذي تجنّبت مواجهته لأنّها كانت صغيرة وضعيفة، لكن هذا الضعف ليس مرده فقط نقص التجربة وانما التنشئة الاجتماعيّة للأسرة التي تفرض على الفتاة «التحمّل» من أجل سمعة العائلة والخوف من الوصم وكبت المشاعر وبالتالي تفسير الأذى كشيء يجب التستّر عليه، وسمر اليوم تلوم نفسها وهي تشعر بالذنب وليس بالظلم، وكأنّ ما حدث لها هو مسؤوليّة فرديّة لا نتيجة قيود اجتماعيّة، فالعنف الرمزي ،كما ذهب الى ذلك بورديو ،هو هيمنة تُمارَس باسم الشرعيّة وتُقبَل باسم الطبيعة. وبذلك تقع إعادة انتاج العنف وإعادة تكريس صور نمطيّة للمرأة تقوم على كونها ضعيفة تكبّلها مسؤوليات الموروث الاجتماعي النابع من التنشئة الأولى التي تُصوّر لها «التحمّل» و»الصمت» و»التضحية من اجل انقاذ سمعة العائلة. و تمكّنت سمر من التغلّب على ضعفها اليوم بالمواجهة والتحدّث عن تجربتها والمساهمة في توعية أترابها وكذلك من خلال التثقيف الذاتي في مجال التكنولوجيات الحديثة وهي استراتيجيّة تبنّتها أيضا بعض المراهقات ممن التقيناهنّ وخاصّة من تعرّضن الى العنف الرقمي بتفاوت أشكاله، وبالتالي فانّ التجربة رغم مرارتها خلقت لدى المراهقات التحفيز للتعلّم الذاتي ومحاولة فكّ شيفرات الميديا الاجتماعية التي كانت في يوم ما ناقلا لأشكال من العنف الرقمي الذي تسبّب لهنّ في الأذى فالتعلّم يُعدّ بالنسبة اليهنّ سعيا نحو النضج وتكوين الشخصيّة وبناء الذات، كما أعربت أكثر من فتاة على استعدادها للتطوّع في الجمعيّات أو عبر الاعلام والومضات التوعويّة في تثقيف أترابهنّ ومكافحة هذا الشكل من العنف الموجّه للمراهقات والمراهقين بالخصوص والأطفال والشباب عموما.

(57) Boyd, D. (2014). It's complicated: The social lives of networked teens. Yale University Press.P197-198.

(58) بورديو،ب، وباسرون، ج.ك.(1994). العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي. (ن.جاهل،مترجم).ص6. المركز الثقافي العربي

الخاتمة والتوصيات:

إنّ التجربة المعاشة للعنف الرقمي تمثّل لحظة مؤسّسة يُعيد فيها المراهقات والمراهقون انتاج التمثّلات التي يؤطّرون بها فهمهم لهذه الظاهرة، فهو حصيلة سيرورة تفاعليّة تتداخل فيها التأويلات الفرديّة مع تأثيرات المحيط الاجتماعي ما يُفرز اعادة تعريف التجربة وإنتاج المعنى. وكشفت نتائج الدراسة عن بروز تمثّلات جندريّة واضحة في تفسير العنف الرقمي تعود الى التنشئة الاجتماعيّة التي تسند للذكور القوة وللإناث الضعف وعلى أساسها يكون التأويل والتقييم للعنف الرقمي من متلقيّن نشطين. كما بيّنت النتائج أن هذا الصنف من العنف يستهدف بالخصوص الفتيات الصغيرات في بداية مرحلة المراهقة وكذلك حديثات العهد بالانخراط في الميديا الاجتماعيّة، وخاصة موقع فايسبوك، فتتعدّد أشكال العنف من تحرّش جنسي وابتزاز عاطفي وتنمّر الكتروني ونشر الصور وفبركتها وإعادة ارسالها الى أصدقاء الضحيّة الافتراضيين، وتلتزم الفتاة في المجمل الصمت الناتج عن الخوف والناتج كذلك عن التنشئة الاجتماعيّة الأولى للأسرة التي تُربّي الفتاة على «التحمّل» وأنّ ما يحدث لها هي من تتحمّل مسؤوليته، ليصبح هذا الصمت شكلا من أشكال الفعل الاجتماعي وآلية للحماية من عقاب الوالدين وعقاب المجتمع بالوصم والاقصاء. فهي قد استبطنت قيما مثل «الصبر» و «الحشمة» واعتبرتها قيما فضلى كما بيّنت ذلك ليليا العبيدي[59].

كما تُبرز نتائج البحث تقلّص دور التنشئة الاسريّة بعلاقة بالرّقمي مقابل تعزيز دور جماعة الأقران وكذلك تقلّص دور الأمهات والآباء مقابل تعزيز دور الاخوة الأكبر سنّا بالنسبة للفتيات والفتيان سواسية، ويعود ذلك الى الانتشار الواسع للتكنولوجيات الحديثة والرقمي واتساع الهوة بين الآباء وأبنائهم رقميّا، بل نجد من الباحثين من يتحدّث عن الفجوة الرقميّة بين الأجيال[60]. كما أصبح للمنصّة منطقها فهي قد ساعدت على انتشار العنف الرقمي باتساع رقعة مستخدميها والأليات التي توفّرها للتعبير والتواصل، ويبقى على المستخدم النشط اليقظة والتمكن من هذه التكنولوجيات لحماية نفسه ومعطياته الشخصيّة. وبيّنت نتائج بحثنا أن المراهقات والمراهقين يعملون على تطوير أنفسهم ذاتيّا واكتساب مهارات تكنولوجية عن طريق التعامل اليومي مع التقنيات والمنصّات وهي مهارات تُكتسب تلقائيّا وفي حاجة الى التأطير سيما وأن الوسائط الرقميّة تكتسي بعدا تقنيّا واجتماعيّا في الوقت نفسه. وقد بيّنت معطيات البحث أنّ أغلب ضحايا العنف الرقمي كانوا يجهلون الخصائص التقنيّة للمنصّات والمواقع وكيفيّة توظيفها لحماية الخصوصيّة وتفادي التهديدات من أشخاص وصفوهم بأنّهم مرضى نفسيين غايتهم الانتقام واستثمار خوف الضحايا من الوصم الاجتماعي. فهم يستغلّون الشبكات الاجتماعيّة الرقميّة لاستهداف المراهقات بالخصوص بعيدا عن أنظار الكبار وللإفلات من العقاب كما بيّنت سميرة عيّاد وزميلاتها[61].

ولذلك نوصي بضرورة نشر التربية الإعلامية والمعلوماتية وعقد دورات تدريبية للصغار والكبار وتعزيز مهارات التلقي النشط عند الناشئة بالخصوص وتمكينهم من مهارات النقد والتقييم للمنتوج الإعلامي الرقمي وليس استهلاكه بسلبيّة، الى جانب تكثيف الومضات التوعويّة والتثقيفيّة حول الموضوع، كما نوصي بضرورة عقد حلقات نقاش ودورات تدريبية للأولياء[62] بالخصوص لمواكبة التطوّر التقني حتى لا تتّسع الهوّة بينهم وبين أبنائهم والتشجيع على اتباع الحوار لكسب ثقة أبنائهم دون العقاب. كما أنه من الضروري مزيد الإحاطة بالمراهقات والمراهقين نفسيّا واجتماعيا وتشجيع التشبيك بين المؤسسة التعليمية والمجتمع المدني لحماية هذه الفئة من المجتمع من المضامين الاعلاميّة والمعلوماتيّة الضارّة.

(59) Labidi, L. (1989). Cabra Hachma : Sexualité et tradition. Dar Annawras.P426.

(60) بنعزة، ف. ز. (2022). الفجوة الرقمية: مسألة تكافؤ الفرص في التربية والتعليم. المركز الجامعي نور بشير بالبيض.
https://www.researchgate.net/publication/371276553 تم الاطلاع عليه في مارس 2026

(61) الكريديف، مرجع تم ذكره سابقا، ص79.

(62) اسوة بتجربة رائدة قام بها المعهد العربي لحقوق الانسان بتنظيم دورات تدريبية تجمع الأولياء وأبنائهم من ضحايا العنف ولعب تبادل الأدوار بينهم لتحسيس الآباء بما يعانيه أبناءهم عند التعرّض للعنف وضرورة الإحاطة بهم

المراجع

- بورديو،ب، وباسرون، ج.ك.(1994). العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي. (ن.جاهل،مترجم).ص6. المركز الثقافي العربي
- الحمامي، ص. (إشراف). (2020). العنف ضد النساء في الميديا الاجتماعية: الفايسبوك نموذجا.دراسة استطلاعية. مركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة (الكريديف).
- Bourdieu, P. (1979). La distinction : Critique sociale du jugement, Paris, Éditions de Minuit. Édition électronique du livre a été réalisée le 05 janvier 2016
- Dubet, F. (1994). Sociologie de l'expérience. Éditions du Seuil.
- Ayed S., Garbouj S., Zouaoui I., (2020). Les violences fondées sur le genre faites aux adolescentes et la réponse à leurs besoins en termes de services, Credif, UNFPA.
- Ben Touhemi, D., Chaabane, M., Khemakhem, K., Chiha, K., Ayadi, H., & Moalla, Y. (2024). Cyberbullying and mental distress among adolescents in secondary school: Tunisian cross sectional study. Annales Médico-psychologiques, revue psychiatrique. https://doi.org/10.1016/j.amp.2024.11.013.
- Boyd, D. (2014). It's complicated: The social lives of networked teens. Yale University Press
- Cricenti, C.; Pizzo, A.; Quaglieri, A.; Mari, E.; Cordellieri, P.; Bonucchi, C.; Torretta, P. ; Giannini, A. M.; & Lausi, G. (2022). Did they deserve it? Adolescents' perception of online harassment in a real-case scenario. International Journal of Environmental Research and Public Health, 19(24), Article 17040. doi.or
- Even C., (2018). Cyberharcèlement chez les adolescents : immpacts psychopathologiques, émotionnels et cognitifs : revue de littérature (Thèse d'exercice en médecine, Université Grenoble Alpes). DUMAS. Dumas.ccsd.cnrs.fr
- Gauducheau, N. (2019). Pratique d'Internet chez les jeunes et perception de la violence verbale. Dans N. Boubée, C. Safont-Mottay & F. Martin (dir.), La numérisation de la vie des jeunes : Regards pluridisciplinaires sur les usages juvéniles des médias sociaux (p. 191-204). L'Harmattan
- Lahire, B. (2002). Portraits sociologiques : Dispositions et variations individuelles. Nathan. Hal. Science
- Mahfoudh-Draoui, D., (2020). Le cyber harcèlement sexuel : une nouvelle forme de violence basée sur le genre. Académie Génération A'venir.
- Mahfoudh-Draoui, D., & Melliti, I. (2006). De la difficulté de grandir : Pour une sociologie de l'adolescence en Tunisie. Centre de publications universitaire
- Martin, O., & de Singly, F. (2000). L'évasion amicale : L'usage du téléphone familial par les adolescents. Réseaux, 18(103), p102, 91-118. doi.org
- Muhammed N.Y., Samak Y.A.A., (2025). The impact of cyberbullying on adolescents: Social and psychological consequences from a population demography perspective in Assiut Governorate, Egypte. Frontiers in Human Dynamics, 7, Article 1519442. Doi.org.

- UNRIC. (2024). Cyberviolence against women and girls: The growing threat of the digital age. United Nations Western Europe. https://unric.org/en/cyberviolence-against -women-and-girls-the-growing-threat-of-the digital-age.
- Vogels E.V., (2022) « Teens and Cyberbulling ». Pew research centre. December ,15,2022.
- https://www.pewresearch.org/ consulté aout 2025

